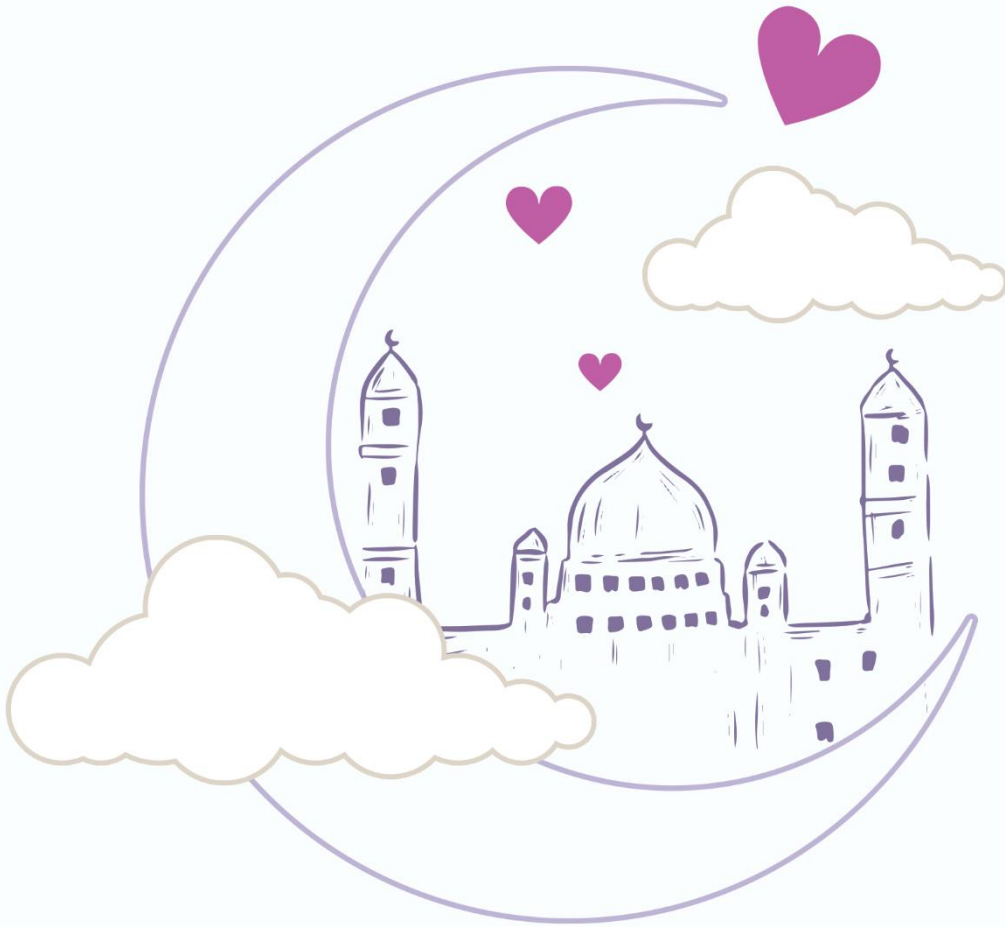


سوزان مصطفى بخيت

# وخفى قلبي شوقاً إلى رمضان



نسبنا أو تناسبنا  
ستزهر ها هنا بذرة الإيمان

## بسم الله الرحمن الرحيم

هذه النسخة الإلكترونية الخاصة أهديها إلى كل قلب مشتاق لتذوق لذة  
وحلاوة الإيمان والعيش مع رمضان في رحلة فريدة من نوعها.  
وهي ليست للطباعة ولا النسخ ولا التصوير

بتاريخ ٢ فبراير ٢٠٢٥

## إهداء

أهب هذا الكتاب إلى الله، الذي أنار قلبي بنور الهداية، وأكرمني بمحبته،  
ووفقني لكتابة كل حرف وهمسة في هذا الكتاب، ويسر لي سبيله، فله  
الحمد والشكر حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم  
وسلطانه.

أهديها كصدقة جارية إلى أبي رحمه الله، وأمي حفظها الله.  
وصدقة جارية عني وعن زوجي حفظه الله.

أهديها إلى أبنائي قرة عيني، وأسأله سبحانه أن تكون سببا في صلاحهم  
وهدايتهم وأن يجعلهم الله أمة للمتقين.

أهديها إلى كل من كان لهم أثر في حياتي وبصمة، ولكل من ألهموني بفكرة،  
أو كلمة، أو شعور، ولكل من دعموني بحرف، أو دعاء.

وأسأله سبحانه أن ينفع بهذا الكتاب وأن يجعله خالصا لوجهه الكريم،  
ونورا يضيء القلوب، ويثقل به ميزاني يوم ألقاه.

## الفهرس

من هنا كانت البداية .....	٥
ماذا قالوا عنها؟ .....	٨
هل نتزود لرمضان أم نتزود من رمضان؟ .....	١٢
لعلكم تتقون .....	٢٠
بذور الإيمان لا تزهر فجأة .....	٢٧
الصدق مع الله .....	٣٣
النية روح العبادة .....	٣٨
تفقد قلبك .....	٤٤
طهارة القلب .....	٥١
لصوص القلب .....	٥٧
ليزدادوا إيماناً .....	٦٣
تحقيق العبودية .....	٦٨
الاستمداد بالقرآن .....	٧٦
الإحسان في العبادة .....	٨٣
هم درجات عند الله .....	٨٩
التوفيق من الله .....	٩٤
اشدد به أزري .....	١٠٠
التخطيط .....	١٠٥
أنسب أوقات العبادة .....	١١١
بداية رحلة الشوق والعبادة .....	١١٦
جهاد الأم في رمضان .....	١٢٠
أبناؤنا في رمضان .....	١٢٨

العبادة وفترة الحيض والنفاس .....	١٣٥
أخطاء رمضانية منتشرة .....	١٤١
مفطرات ومفسدت الصيام .....	١٤٨
حين يخفت وهج القلوب في رمضان .....	١٥٤
التنوع في العبادات .....	١٦٠
الصلاة قرّة عين المؤمنين .....	١٦٤
النوافل... طريق المحبين إلى الله .....	١٦٧
الدعاء: لذة المناجاة وسر العبودية .....	١٦٩
الأذكار .....	١٧٧
حفظ الجوارح... طريق إلى الله .....	١٨٢
الصدقات: روح العطاء وسر البركة .....	١٨٥
العشر الأواخر من رمضان .....	١٨٨
ليلة القدر... حين تكتب الأقدار! .....	١٩٥
ما بعد ليلة ٢٧... هل انتهى رمضان؟ .....	٢٠٠
آخر يوم في رمضان .....	٢٠٤
كيف نستقبل العيد؟ بالحزن أم بالسرور؟ .....	٢٠٨
الاحتفال بالعيد .....	٢١٤
قلوبنا في العيد .....	٢١٨
وأخيرا... ماذا بعد رمضان؟ .....	٢٢١

## من هنا كانت البداية

تمر بنا الأيام، ويزداد شتات القلب وتبعثر الروح. فنبحث هنا وهناك عن شيء يعيد ترتيبها ويهيئها لتقبل عليه سبحانه. فيلوح رمضان في الأفق، ويبدأ القلب يخفق شوقاً إليه، عسى أن تتاح لنا فرصة نغوص فيها في أعماقنا، لتتناغم قلوبنا مع أرواحنا من جديد، في رحلة إيمانية تحلق بنا إلى عنان السماء. رحلة تدفع بجوارحنا للعمل بحب وشوق، فتنزود منها بما يعيننا على الارتقاء على مدار العام.

ومن هنا بدأت فكرة الكتاب، فكرة بذور نثرتها لقلوب ترغب في النبض قبل حلول رمضان.

### فما هي الحكاية؟ ومن أين جاءت الفكرة؟

في عام ٢٠١٦، طلبت مني بعض المتابعات أن أكتب لهن سلسلة منشورات إيمانية في رمضان، تحيي قلوبهن وتعينهن على التلذذ بحلاوة الإيمان. فتساءلت: ما الجديد الذي يمكنني تقديمه ولم يتم التطرق إليه أهل العلم والدعاة؟

حتى هداني الله إلى نثر بعض البذور التي تخاطب الجانب النفسي قبل الإيماني، لتكون عوناً في الإقبال على العبادة بنفسية أكثر وعياً وفهماً. حرصت فيها على تصحيح الكثير من المفاهيم المتعلقة بالعبادة عامة، وبرمضان خاصة، وكنت أكتبها يوماً بيوم على حسب ما يفتح الله عليّ. وبعدما انتهيت، جمعتها في كتيب بعنوان "سباق القلوب إلى رمضان" ونشرته.

ولما وجدت إقبالا كبيراً عليها، وعظيم نفعها بفضل الله، عزمتم على تجديد نشرها كل عام، مع الاهتمام بتهذيبها وتطويرها.

وفي عام ٢٠١٩، بدأت بعرضها كدورة تفاعلية على منصة التليجرام، فتح الله علي بالمزيد من الإضافات، وتوسعت فيها بما يتوافق مع احتياج المتدربات، مع التركيز على العمق والتأثير، ومخاطبة القلوب لتتناغم مع عنوانها الجديد "وخفف قلبي شوقا إلى رمضان".

وفي عام ٢٠٢١، قدمتها للأعجميات في مدينة ملبورن بأستراليا، وبفضل الله لامست احتياجاتهن أيضا.

ثم في عام ٢٠٢٣، استعنت بالله وبدأت بجمعها في كتاب، مع المزيد من التهذيب والتطوير، سائلة الرحمن اللطيف الودود أن يتقبلها مني، وأن تجد لها أثرا ومكانا في قلب كل من يقرأها، فتسمو بأرواحهم، ويصبح رمضان بالنسبة لهم محطة للترقي في درجات الإيمان.

### فما هي محطاتنا التي سنسير فيها؟

في رحلتنا، سنسير في عدة اتجاهات نخاطب فيها القلب والعقل والجوارح معا، كلا بلغته التي تناسبه:

- **تصحيح المفاهيم:** سنبدأ بتصحيح المفاهيم، وتعلم المقاصد الحقيقية المتعلقة بالعبادة عامة، وبشهر رمضان خاصة، مع تسليط الضوء على مظاهر الجمال التي يحتويها هذا الشهر.
- **تهيئة القلوب:** ثم سننتقل لتهيئة قلوبنا بمشاعر الحب والحماس والفرح، والتعرف على المعنى الحقيقي للذة الإيمان، وكيف يمكننا أن نتزود منها لما بعد رمضان.

- **تحفيز الجوارح:** بعد ذلك يأتي دور الجوارح، فنحفزها ونحركها بتدرج جميل، لتقبل على الطاعة بعدما فهمناها فهما صحيحا، وخفق نبض قلوبنا بالشوق إليها.
- **بداية رحلة جديدة:** وأخيرا، لن أختتم الكتاب بانتهاء رمضان، فما هو إلا محطة نتزود منها، بل سيكون - بعون الله - بداية رحلة جديدة نرتقي فيها في درجات الإيمان، ونستمر بها حتى رمضان الذي يليه.

أسأل الله العون والتوفيق، وأن يجعل عملي كله صالحا، ولوجهه خالصا، وألا يجعل لأحد فيه شيئا.

سوزان مصطفى بخيت

[s.m.bekhit@hotmail.com](mailto:s.m.bekhit@hotmail.com)

نَسِينَا أَوْ تَنَاسَيْنَا، سَتَزْهَرُ هَا هُنَا بِذُرَّةِ الْإِيمَانِ

فبراير ٢٠٢٥



## ماذا قالوا عنها؟

كانت هذه بعض آراء المتدربات، وقد حرصت على عدم التكرار، كما استبدلت الأسماء الصريحة بالأحرف الأولى بناء على رغبتهن.

### ■ تقول س. أ:

كانت الدورة كالنور الذي أنار عتمة العقول التي ظنت أن العبادة تقتصر على الصيام والصلاة فقط. لا أنسى سؤالك أبدا، فقد ارتبط عندي بالدورة؛ كلما تذكرت اسمها، أتذكر شعارها: "هل تتزودين من أجل رمضان أم تتزودين من رمضان لباقي العام؟".

أيضا، إجاباتك عن أسئلتنا كانت مفيدة جدا، وأنارت لدي مفهوما مهما، وهو أننا لا نعبد الله من أجل لذة العبادة، وأن اللذة لا علاقة لها بالأجر. فالأجر متعلق بالجهد والعمل، وليس النتيجة. واللذة هي رزق قد يأتي وقد لا يأتي.

### ■ تقول أ. ف:

كانت الدورة مرجعا لي كلما شعرت بالتعب من المنشورات التحفيزية الأخرى التي كانت تسبب لي العجز والتشتت والخذلان. كنت أهرع لقراءة الدورة، فأجد فيها الطمأنينة، وكأنها يد تربط على كتفي وتقول لي: "رفقا بنفسك. فالعبادة ليست محصورة في هذا فقط، بل تشمل كل ما تقومين به بنية صادقة". كنت أظن أننا نتزود من أجل رمضان، لكنه في الحقيقة محطة للتزود لباقي العام.

#### ■ تقول ش. أ:

الدورة أعطتني دفعة إيمانية ورؤية مختلفة لكل عمل أقوم به. فرمضان ليس صياماً وصلاةً وقراءة قرآن فحسب، بل كل عمل أقوم به بنية صادقة هو طاعة، حتى رعاية أطفالي لم تعد عبئاً يؤرقني في رمضان، بل أصبحت احتسبها عبادة تثقل ميزاني.

#### ■ تقول م. و:

كانت الدورة رحلة ممتعة وشيقة. ما ميزها عن غيرها أنها لا تقدم معلومات فقط، بل فتحت لنا أفاقاً ننطلق منها لنعيش رمضان بروح جديدة. كانت دورة تصحيحية لمفهوم العبادة، غيرت بفضل الله الكثير من المفاهيم الخاطئة، وجعلتنا ندرك أن رمضان ليس فقط موسم طاعة، بل تغيير عميق يمتد طوال العام.

#### ■ تقول ا. ا:

تعلمت من الدورة معرفة أولوياتي حتى في رمضان، فأصبح جهادي مع أبنائي عبادة، وطاعة زوجي مقدمة على النوافل. تعلمت تجديد النية في كل عمل أقوم به، وتعلمت أن الله يكافئ على الجهد والجهاد، وليس على النتائج، وهذا جعلني استمتع برمضان وأشعر بالسكينة.

#### ■ تقول س. غ:

دخلت الدورة وأنا أقول لنفسي: "سأترك وكالعادة لن أجد شيئاً جديداً"، إلا أنني حقاً استمتعت بالدورة وعلمت أنني لست وحدي من لها نفس التساؤلات. كانت إجاباتك، شافية كافية ووافية، ولا أزي على الله أحداً.

■ تقول س:

اللهم بارك! كانت الدورة منظمة وشاملة لكل ما كنت أحتاجه. وجدت هذا العام لذة مختلفة في الإقبال على الطاعة. تعلمت كيف أستغل رمضان رغم مسؤولياتي، وأدركت أن كل عمل أقوم به في بيتي يمكن أن يكون طاعة. استفدت كثيرا من ردودك على الأخوات، وحرفيا، كل حرف في الدورة كان كنزا ثمينا.

■ تقول د.ع:

كنت كل عام أدخل رمضان بحالة من التوتر والخوف لشرف الزمان، وأن الدقيقة فيه قد تساوي العتق من النيران. فكنت أعيش حالة من جلد الذات كلما ضاعت مني دقيقة في غير الذكر والقرآن. ثم من الله عليّ بهذه الدورة، فاطمأن قلبي، وعشت مفهوم العبادة الشامل، وعلمت أن كل عمالي هي عبادة عند احتساب الأجر، وأن العبادة ليست فقط في الذكر والقرآن. لأول مرة، عشت رمضان بنفسية هادئة، بلا توتر أو جلد ذات، مقبلة على الطاعة بحب، محفزة بلا ضغط. والله، كان أجمل رمضان مرّ علي في حياتي.

■ تقول س. غ:

قبل رمضان الماضي، كان أتحسر على ما فاتني من ختمات، حين أرى الأخوات في المجموعات الأخرى يتحدثن عن ختماتهن الثانية والثالثة والسادسة، وألوم نفسي وأردد: "لماذا أنت بطيئة؟ لماذا لا أختتم مثلهم؟"

لكن بعد هذه الدورة، أحسست أنني أنجزت حقاً، رغم أنني ختمت مرة واحدة، لكنها كانت أحلى وأعمق ختمة. عشت مع القرآن كما لم أفعل من قبل.

#### ■ تقول ف. ع:

الدورة من أوفق وأجمل وأشمل الدورات التي قد تحضرها أي مسلمة محبة للترقي في العبادة. تميزت بأسلوبها المتدرج في إعداد القلب والطاعات، وشرح حال السلف والصحابة، وفتح آفاق التغيير السلس لاستقبال رمضان.

أما التصفية والسكينة والخلوة والنيات، فكانت حقاً الدواء الأجل لقلبي كي يستفيد من رمضان.

الدورة رائعة جداً، وبكل موضوعية، لم أحضر دورة شاملة مثلها تهتم بالقلب وحاله، وتحفز النفس وتنشطها. أنصح بإعادة قراءتها مرات ومرات قبل رمضان القادم.

#### ■ تقول هـ:

هذه ليست المرة الأولى التي أحضر فيها الدورة، وفي كل مرة أجد إضافة جديدة تعمق الفهم، وتوضح أبعاداً ربما كانت معروفة لدينا، لكنها لم تكن بهذا الوضوح والتأثير. أكثر ما أعجبنى هو العناية بالمرأة ومسؤوليتها، وكيفية استغلالها لرمضان رغم مسؤولياتها كأم وزوجة وفترة ضعفها كأنثى في أيام عاداتها الشهرية. كما أعجبنى تفصيل العبادات المتنوعة، وتوجيه الحزن بالرضا، وتبسيط الضوء على فقه النوايا. حرفياً كل فقرة تصلح أن تكون دورة مستقلة بذاتها!

## هل نتزود لرمضان أم نتزود من رمضان؟

سؤال يتوقف عنده القلب، فتتأمل النفس في حقيقة الاستعداد، ويعيد المرء النظر في هدفه من هذا الشهر المبارك.

هل نراه غاية نبذل الجهد من أجلها، أم محطة نتزود منها لما بعدها؟

أين يقع رمضان في خارطة الإيمان التي تمتد على مدار العام؟ وكيف تتكامل محطات الطاعة، لتؤدي كل منها دورا فريدا في تزكية القلوب وتعزيز علاقتنا بالله؟

## نظرة جديدة على أيامنا وليالينا

في ظلمة الليل، جلست مسك على سجادتها، ترفع يديها متضرعة إلى الله. انتهت من صلاة القيام، وأخذت تناجي ربها بخشوع. حتى دوى صوت الأذان ليُعلن دخول الفجر:

"الله أكبر الله أكبر، الله أكبر الله أكبر"

بدأت تردد الأذان، وحين قال المؤذن: "الصلاة خير من النوم، الصلاة خير من النوم"، قامت لتجدد وضوءها، وتلهج بالدعاء، مستثمرة لحظات الإجابة بين الأذان والإقامة. أدت صلاة الفجر بقلب مشتاق، وأعقبها بأذكار الصباح، ثم انطلقت إلى يومها، تؤدي مهامها، وهي تحرص على ألا يغفل قلبها عن ذكر الله.

بدأت مسك أعمالها المنزلية المتنوعة، وبين كل عمل وآخر كانت تقتنص دقائق معدودة لتغذي روحها؛ تارة بتلاوة آيات من القرآن، وتارة بذكر الله، وتارة بالتصدق بالكلمات الطيبة على من حولها.

حينما أرهقتها المسئوليات، هرعت إلى ركعتين في الضحى، فكانت صلاتها تلك نسمة تُنقي روحها من غبار الحياة، وتجدد يقينها. وعندما أذن الظهر، بادرت إلى الصلاة، تغسل بها خطاياها، وتروي بها عطش قلبها. هكذا كان يومها، ما بين عمل وذكر، وسعي وعبادة، حتى إذا ما شعرت بثقل في القلب، كان استغفارها هو البلسم الذي يعيد ترتيب مشاعرها، فتعود إلى الله بروح أنقى ونفس أخشع.

لقد أدركت مسك سرا عظيمة، أن الله قد وهبنا محطات يومية نتزود منها، نغتسل بها من أدران الدنيا، ونتقوى بها على طريق الآخرة. لكن، هل وعينا نحن هذه الحقيقة؟

هل التفتنا يوماً إلى تلك المحطات الإيمانية التي وهبنا الله إياها، والتي تتوزع في كثير من تفاصيل حياتنا لتروي عطش أرواحنا؟

### محطات التزود الإيمانية

المحطات الإيمانية ليست محصورة في لحظتنا اليومية فقط، بل كلما اتسعت رقعة الزمان، ازدادت معها هذه المحطات، وامتدت على مدار الأسبوع، والشهر، والعام، لترسم خارطة متكاملة تعيننا على الثبات في الطريق إلى الله.

فإذا تأملنا أيام الأسبوع، نجد أن الله قد أكرمنا بمحطات خاصة، كصيام يومي الاثنين والخميس، وساعة استجابة الدعاء يوم الجمعة، فتكون كجرات روحية تُنعش القلب على مدار الأسبوع.

وعلى مستوى الشهر، نجد محطة أخرى في الأيام البيض، حيث يكون الصيام فيها زاداً جديداً، يجدد النقاء في الروح.

أما على مدار العام، فقد جعل الله لنا محطات أكبر وأعمق أثراً، تدفعنا لمزيد من القرب، وتعيد إنعاش أرواحنا قبل أن تدبّل، حتى نصل إلى غايتنا الكبرى في الآخرة.

تلك المحطات تشبه محطات الوقود التي يحتاجها المسافر في طريقه، فهي تزوّد سيارته بالطاقة التي تعينه على المضي قدماً، حتى يبلغ غايته. وقد رُتبت هذه المحطات بانتظام وتناغم بديع، ليكون لكلٍ منها دور محدد، يكمل الآخر.

وهذا المعنى تحديداً هو ما أنعش روحي وصحح بوصلة قلبي تجاه رمضان. ففي الماضي، كنت أراه هو الغاية، فكنت أستعد له وأحيا في أجوائه، ثم بمجرد انتهائه، ينتهي كل شيء، كأنه فصل من كتاب أغلق وانتهى.

لكنني لم أدرك حينها أن رمضان ليس وجهتنا النهائية، بل هو إحدى المحطات الكبرى في رحلتنا الإيمانية، محطة تزودنا لنكمل الطريق بعدها، عامًا بعد عام، في منظومة من مواسم العبادات، أعدّها الله بحكمة وإتقان.

فهل توقفنا يومًا لتدبر هذا الترتيب الإلهي؟

هل تأملنا كيف رتب الله هذه المواسم بما يلائم قلوبنا؟

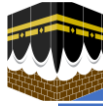
وهل لاحظنا أن أغلب هذه المحطات تدور حول عبادة الصيام، وكأنها مفاتيح خفية للحفاظ على وهج الإيمان؟

مهما كانت إجابتك، فهذه فرصة لنا جميعًا لتتعرف على هذه المنظومة المتكاملة، وكيف رتبها الله برحمته وحكمته، لنظل في سير مستمر نحوه، لا نتوقف عند محطة واحدة، بل نرتقي بها إلى التي تليها.



3. القسم الثالث

- ستة أشهر ارتقاء في الدرجات



2. القسم الثاني

- عشر ذو الحجة
- يوم عرفة
- يوم عاشوراء



1. القسم الأول

- رمضان
- العشر الآواخر
- ليلة القدر
- 6 من شوال

عند تأملنا لهذه الصورة، نجد أن شهور السنة مقسمة إلى ثلاثة أقسام بترتيب محكم، كل منها يؤدي دوره في بناء إيماننا وترسيخه.

### القسم الأول: رمضان والانطلاقة الكبرى

البداية تكون مع شهر رمضان، حيث نغدق على قلوبنا جرعات مكثفة من الطاعات، ونتزود بأكبر جرعة من الإيمان. ثم حينما تبدأ الهمة في الفتور، تأتي



العشر الأواخر لتحيا أرواحنا بوهج جديد، يزداد معها الشوق إلى الله خاصة مع ترقب ليلة القدر.

وفي ختام الشهر، نشعر وكأننا نحمل بين أضلعنا كنزاً ثميناً ورصيداً عظيماً نود لو استطعنا أن نحافظ عليه في قلوبنا، فتبدأ الحيرة:

كيف يمكننا أن نحافظ على ما بلغناه من إيمان؟ وكيف نبقي جذوة الإيمان مشتعلة في أرواحنا؟

فتأتينا الستة أيام من شوال، وتهمس إلينا:

"ألم تستشعر حلاوة الإيمان؟ ألم تكن تلك العبادات رفيقة رحلتك الإيمانية، ومصدر سكينتك وزادك في الطريق؟ فانتبه ولا تفرط في زادك."

ومع هذه الهمسات القلبية، يأتينا حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ليحثنا على الصيام، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (مَنْ صَامَ رَمَضانَ ثُمَّ أَتْبَعَهُ سِتًّا مِنْ شَوَّالٍ، كَانَ كَصِيَامِ الدَّهْرِ)<sup>١</sup> مبشراً بأن من صامها بعد رمضان، فكأنها صام الدهر كله.

### القسم الثاني: نفحات ذي الحجة والتثبیت

تمر الأسابيع، وتبدأ الهمة تضعف، فتأتي العشر الأوائل من ذي الحجة، لتحيا فينا الشوق من جديد، وتعيد ترتيب القلب في طاعة الله. ثم يأتينا حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم لتُسكن قلوبنا، وكأنه يقول لنا: "يا من تسعين إلى محبة الله، هلم إلى هذه الأيام وتزودوا منها ففيها مبتغاكم".

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

---

<sup>١</sup> رواه مسلم

(ما من أيام العمل الصالح فيهنّ أحبّ إلى الله من هذه الأيام العشر، فقالوا: يا رسول الله، ولا الجهاد في سبيل الله؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ولا الجهاد في سبيل الله، إلا رجل خرج بنفسه وماله، فلم يرجع من ذلك بشيء)¹.

وكما خُتم رمضان بالعشر الأواخر وما فيها من نفحات ليلة القدر، تختم العشر الأوائل من ذي الحجة بيوم عرفة، ذلك اليوم الذي يُكفر ذنوب سنتين، ويجعل القلب أنقى وأقرب.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:  
(صومُ يوم عَرَفَةَ كَفَّارَةُ السَّنَةِ الْمَاضِيَةِ وَالسَّنَةِ الْمُسْتَقْبَلَةِ)².

وكما جاءت ستة أيام من شوال بعد رمضان لتعيننا على الاستمرار في الطاعات، تهب علينا نسمات يوم عاشوراء بعد حوالي شهرين، ليكون امتداداً لتلك النفحات، وتذكراً بأن الرحلة لم تنته بعد.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:  
(صِيَامُ يَوْمِ عَاشُورَاءَ، إِنِّي أَحْتَسِبُ عَلَى اللَّهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ)³.

### القسم الثالث: الاختبار الحقيقي

وبعد انتهاء القسمين الأول والثاني من العام على مدار ستة أشهر، يبدأ القسم الثالث، بعد انتهاء المواسم الكبرى لبدء الاختبار الحقيقي:

هل سنحافظ على زادنا من الإيمان؟ أم سنستهلكه حتى يأتي رمضان القادم؟

¹ رواه الترمذي

² صحيح الجامع

³ صحيح الجامع

وهنا يكون الجهاد الحقيقي، جهاد النفس، جهاد الاستمرار. ويأتينا قول الله تعالى ليوقظنا لحقيقة الاختبار:

{أَحْسِبِ النَّاسَ أَنْ يَتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ}¹،

فمن يستمر على بقاء شعلة الإيمان متقدة في قلبه، ولو بأعمال يسيرة، فقد فاز بأعظم درجات القرب.

### كيف نستقبل رمضان؟

لذلك، لم يكن عجباً أن نرى السلف الصالح يتهيؤون لرمضان قبل قدومه بشهور. كانوا يستعدون له كما يستعد المسافر لرحلته، مستعينين بالله، سائلين أن يبلغهم رمضان ليتزودوا منه لباقي العام.

وقد بين لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قيمة الاستعداد، فكان يكثر من الصيام في شعبان. عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت:

(إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَصُومُ شَعْبَانَ كُلَّهُ، وَيَتَحَرَّى صِيَامَ الْاِثْنَيْنِ وَالْخَمِيسِ)²

وفي حديث أسامة بن زيد رضي الله عنه أنه قال: (يا رسول الله! لم أرك تصوم شهراً من الشهور ما تصوم من شعبان؟!)

قال: ذلك شهر يغفل الناس عنه بين رجب ورمضان، وهو شهر ترفع فيه الأعمال إلى رب العالمين، فأحب أن يرفع عملي وأنا صائم)³.

### إلى أين تسير قلوبنا؟

---

¹ العنكبوت ٢

² رواه النسائي

³ رواه النسائي

وهكذا، تدور العجلة عاما بعد عام، وبين كل رمضان ورمضان، توجد فرصة جديدة للارتقاء، فرصة للتحليق في رحاب الإيمان، فكل عام هو هدية من الله لنتقرب منه أكثر.

فكيف سنستقبل هدايا الرحمن ونُحسن استقبال رمضان؟ بل: كيف نُحسن وداعه، ليبقى أثره معنا طوال العام؟

كيف يكون رمضان محطة انطلاق، لا محطة توقف؟

فإن كنا نبحث عن السبيل لحفظ وهج الإيمان، فلا نطفئ نور قلوبنا بعد رمضان.

### ومضة

المحافظة على التزوّد بالمحطات الإيمانية اليومية، هي سبيلنا لبلوغ المحطات الإيمانية الكبرى، والتنعم بنفحاتها.

## لعلكم تتقون

عبارة تتكرر كثيراً عند الحديث عن الصيام ومقاصده، لكن هل تأملنا يوماً في عمق المراد الإلهي من هذه الفريضة؟

من هم الذين خصَّهم الله بالصيام، وجعل لهم من ورائه مقصداً سامياً؟

وهل تنحصر التقوى في مجرد اجتناب المعاصي، أم أنها أوسع من ذلك، فتشمل القرب من الله والأنس به، لتفتح لنا آفاقاً جديدة من الإيمان العميق والروحانية الصادقة؟

## رمضان في عيون الأطفال

دقّ الجرسُ مُعلنًا بداية حصة التربية الإسلامية، ودخلت مسك الفصل بابتسامتها المعتادة، حيث جلست الطالبات في أماكنهن، يترقبن بحماس موضوع اليوم الذي وعدتهن به: "شهر رمضان".

بعد التحية والسلام، طرحت مسك سؤالاً على طالباتها:  
"من تخبرني عن المقصد من صيام شهر رمضان؟"

تنوعت الإجابات كما توقعت، فكانت كالتالي:

- نصوم رمضان لنشعر بحال الفقراء ونحسن إليهم.
- الصيام ينظف أجسادنا من السموم.
- نصوم لنثبت لله أننا نحبه أكثر من الطعام.
- الصيام يساعدنا على الابتعاد عن الشهوات والحرام فيحبنا الله.
- لننتعود على البذل والعطاء ونشعر بالحرمان.
- رمضان شهر توزيع الجوائز للمؤمنين.
- الصيام يجعلنا أقوىاء.

أثنت مسك على حماس الطالبات، ثم ابتسمت قائلة:  
"إجاباتكن جميلة، لكن يا تُرى، أي منها يتوافق مع ما ذكره الله تعالى في القرآن؟

منذ الصغر، تعلمنا الكثير عن مقاصد الصيام، لكن هل تأملنا في مراد الله منا حقاً؟

وهل تتوافق هذه المفاهيم مع ما أشار الله في كلمتين فقط: "لعلكم تتقون"؟

## نداء تشوق إليه الأرواح

يقول الله تعالى:

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} \* أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينَ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ}¹.

في هذه الآيات، يفتح الله خطابه بنداء تشوق إليه الأرواح، وتهفو له القلوب:

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا}، وكأنها بطاقة دعوة إلى أولئك الذين سكن الإيمان قلوبهم، وإلى من يتطلعون إلى الارتقاء في مراتب القرب منه سبحانه.

فيا من تذوقتم حلاوة الإيمان، انتبهوا لهذا النداء، فهو موجه إليكم! ويا من تشاقون إلى الإيمان، وتبحثون عنه بقلوب متلهفة، هنا يكمن الطريق، فاستمعوا بقلوبكم قبل آذانكم.

الله سبحانه ينادينا ليبين لنا حقيقة عميقة ينبغي أن تسكن في أعماقنا، وتتغلغل في أرواحنا، لتثمر التقوى، حيث يتكامل صيام القلب عن المعاصي مع صيام الجوارح عن المفطرات، فتنبض أرواحنا شوقاً إلى كل ما يقربنا إليه.

وهذا المعنى العظيم لم يكن خاصاً بأمة الإسلام، بل هو منهج رباني، كتبه الله على الأمم السابقة، فالتقوى هي الحصن المنيع الذي يحفظ الإيمان ويقويه.

ثم يطمئننا سبحانه بأن هذا الطريق مفتوح أمامنا في كل وقت، فلا يُحرم منه من اضطر للإفطار لعذر من مرض أو سفر، بل يبقى باب التقوى مشرعا:

¹ البقرة ١٨٣ - ١٨٤

{فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ}

فلا تدعو العذر يبعدكم عن هذا النعيم، فمتى زالت أَعذاركم، عودوا إليه، وتزودوا من زاد التقوى، واستنشقوا نسيمات الإيمان التي فاتتكم، فالطريق لا يزال ممهدا، والرحلة لم تنته بعد.

### التقوى.. ما حقيقتها؟

إذا أردنا أن نغوص في عمق معنى التقوى، فلا بد أن نمر على سيرة الصحابة رضي الله عنهم. فبينهم نجد موقفا عظيما من عمر بن الخطاب رضي الله عنه، الذي سبقنا في سؤاله عن التقوى،

يروى ابن كثير: (قيل إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه سأل أبي بن كعب رضي الله عنه عن التقوى، فقال له: أما سلكت طريقاً ذا شوك .

قال: بلى .

قال: فما عملت .

قال: شمرت واجتهدت .

قال: فذلك التقوى)<sup>١</sup>

يا لها من صورة بليغة!

كأن أبي بن كعب رضي الله عنه يقول: "أليس الطريق الذي تسير فيه مليء بالأشواك؛ الذنب، الفتن، الشهوات، العقبات التي قد تجرح بها روحك، وتضعف قلبك، وتستنزف إيمانك؟ فماذا تفعل؟ تُشمر عن ساعديك، تراقب

<sup>١</sup> تفسير ابن كثير



خطواتك، تتحاشى السقوط، وتجاهد نفسك في كل لحظة، لأنك تعلم أن أي غفلة قد تؤذيكَ.

هكذا هي التقوى.. وعي دائم، حذر مستمر، ويقظة قلبية لكل خطوة تخطوها في رحلتك إلى الله.

وكذلك نحن في حياتنا اليومية، تحيط بنا الفتن من كل جانب، تغرينا وتتغذى على صلتنا بالله، فنجاهد أنفسنا لنبتعد عنها.

حين نكون في تجمعات، نجد الغيبة والنميمة والهمز واللمز تحاصرنا، فنحرص على كف ألسنتنا عنها، وننأى بأنفسنا عن مجلسها.

وفي الشوارع، تصدمنا مظاهر لا ترضي الله، فنجاهد أعيننا على غض البصر، وننقذ قلوبنا بالاستغفار وذكر الله.

نعم، قد عمّ البلاء في الأمة، لكن هذا لا يمنعنا من الاجتهاد في حماية قلوبنا وأرواحنا وجوارحنا.

فالتقوى هي الحصن المنيع الذي يحفظ إيماننا من التلاشي، ويثبتنا في طريق الحق، مهما اشتدت الفتن، وعظمت المغريات.

**التقوى.. ليست فقط اجتناب المعاصي**

إن كان تعريف أبي بن كعب يدور حول ترك الذنوب، فإن طلق بن حبيب يضيف معنى أكثر إشراقا وقربا من الروح، معنى ينعش الوجدان، حيث يقول: (إذا وقعت الفتنة فأطفئوها بالتقوى،

قالوا: وما التقوى؟،

قال: أن تعمل بطاعة الله على نورٍ من الله؛ ترجو ثواب الله،

وَأَنْ تَتْرَكَ مَعْصِيَةَ اللَّهِ عَلَى نُورٍ مِنَ اللَّهِ؛ تَخَافُ عِقَابَ اللَّهِ<sup>١</sup>.

فلنتأمل هذا التعريف العميق..

التقوى ليست مجرد اجتناب المحرمات، بل هي استشعار معيته وصحبته في حياتنا. أَنْ نعيش على نور من الله، نُؤْدي الطاعات بحب، رغبة في رضاه وثوابه، ونترك المعصية ونحن مستشعرين مراقبته لنا، خشية من عقابه كما يخشى المحب من عقاب محبوبه.

### حينما تصبح التقوى أسلوب حياة

فالتقوى ليست عبادات نُؤْديها فقط، بل هي نهج حياة، يتغلغل في تفاصيلنا اليومية:

- في زيارتنا، نحرص على أَنْ نغرس بذور الإيمان في قلوب الجالسين معنا، كما كان الصحابة رضوان الله عليهم يقولون:  
قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (هَلُمُّوا بِنَا نَزِدَادَ إِيْمَانَا)<sup>٢</sup>،  
وقال ابن مسعود رضي الله عنه: (اجلسوا بِنَا نَزِدَادَ إِيْمَانَا)<sup>٣</sup>،  
وقال معاذ رضي الله عنه: (اجلسوا بِنَا نَوْْمَنَ سَاعَةٍ)<sup>٤</sup>.
- في مكالماتنا، لا تكون مجرد أحاديث عابرة، بل لقاءات تُحيي القلوب، بوضع كلمات إيمانية تترك أثرا في النفوس.

<sup>١</sup> بدائع الفوائد

<sup>٢</sup> مصنف ابن أبي شيبة

<sup>٣</sup> شعب الإيمان

<sup>٤</sup> مصنف ابن أبي شيبة

- في ذكرنا لله، حين يرافقنا نور الله وهدايته، فتلهج ألسنتنا باسمه في كل حاب، وتنبض قلوبنا بذكره، شوقا إلى أن يذكرنا هو في الملاء الأعلى. يقول الله تعالى: {فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ}¹. ما أعظمه من شعور! أن تذكر الله، فيذكرك هو، في الملاء الأعلى، في حضرة ملائكته الكرام! وهكذا، كلما أكثرنا من ذكره بما يعمر قلوبنا بمعرفته، وبما يزيد من حبه في أنفسنا، أقبلت عليه جوارحنا في كل ما أمرنا به، وابتعدت عن كل ما نهانا عنه. وكلما رطبنا ألسنتنا باسمه، ازددنا تقوى، وازددنا قربا منه سبحانه. فما أروعها من غاية للصيام!

---

¹ البقرة ١٥٢

## بذور الإيمان لا تزهر فجأة

هل رأيتم يوماً شخصاً يبحث عن أزهارٍ جميلة، لم يغرس بذورها، ولم يسقيها  
أو يرعها يوماً بعد يوم؟

كذلك هو حالنا كل عام، نتمنى تذوق لذة الطاعة وحلاوة الإيمان، لكننا  
نهمل الغرس في وقت الرخاء، ثم إذا أقبلت مواسم الطاعات، بحثنا فجأة  
القرب من الله.

فهل يجدي التمني دون استعداد؟

جلست مسك بعيداً تتأمل ابنتها الصغيرة وهي تنثر بذوراً في التربة، ثم تسقيها بالماء، وتنتظر بحماس أن ترى تلك البذور تنمو. مرّت ساعة تلو الأخرى ولم يحدث شيء، فعادت الصغيرة إلى المنزل في صمت. وفي صباح اليوم التالي، خرجت مبكراً، بلهفة وشوق، على أمل أن تجد بذورها قد أزهرت. لكنها لم تجد شيئاً، فجلست حزينّة بجوار التربة.

اقتربت منها مسك، ربتت على كتفها بحنان، وبدأت تشرح لها أن البذور لا تزهر فجأة، بل تحتاج إلى صبر ورعاية، وسقيا وعناية على مدار الأيام والأسابيع. تحتاج إلى متابعة وحماية من الأعشاب الضارة التي قد تمنعها من النمو وتحرمها من غذائها. ومع الوقت، ستبدأ الورود في التفتح بألوانها الجميلة.

وكما أن البذور لا تزهر فجأة، كذلك القلوب لا تزهر بالإيمان فجأة. وتحتاج إلى رعاية واهتمام دائم، إلى حماية وتحصين.

فهل انتبهنا إلى ذلك ونحن نستعد لنتزود من رمضان؟

هل أبحرنا في أعماقنا وفتشنا عن بذور الإيمان في قلوبنا، لنرى: هل أزهرت أم تنتظر منا أن نسقيها ونرويها بالطاعات؟

**لماذا نفقد التناغم بين قلوبنا والطاعة؟**

إذا نظرنا في خطط الناس قبل رمضان، سنجد من عزموا على ختم القرآن مرة كل عشرة أيام، وآخرين يطمحون إلى ختم خمسة أجزاء يومياً، ومن قرروا قيام الليل كله، وغيرهم ممن وضعوا خططا عظيمة لاستغلال الوقت في رمضان.

لكن، هل استطاعوا جميعاً تحقيق هذه الأهداف؟

لقد كانت همتهم عالية، وحماسهم مشتعل للنهل من لذة الطاعة، ومع ذلك لم تطاوعهم قلوبهم لإتمام تلك الختمات أو التلذذ بكتاب الله. لماذا؟

لماذا لم يتمكنوا من التحليق في سماء الإيمان؟

إذا تأملنا حالنا منذ رحل عنا رمضان الماضي، سنجد أن الله قد أكرمنا بنسمات إيمانية، وأحيا أرواحنا بلحظات عذبة من القرب. تزودت قلوبنا بجرعة كبيرة من الإيمان، ثم مرت علينا مواسم عديدة للعبادات، فكيف تعاملنا معها؟

هل كنا ممن واصل التزود بها، فارتقت قلوبهم يوما بعد يوم، حتى صاروا يستقبلون رمضان الجديد بحالة إيمانية أعلى مما كانوا عليها في العام الماضي؟

أم أننا كنا ممن انشغل بالدنيا، وبدأ يتغذى على بقايا الإيمان التي تزود بها من رمضان السابق، ومع مرور الأيام والشهور، أخذ الإيمان يتناقص، حتى أثقل الران القلوب، وازدادت المسافة بينها وبين الله؟

حينها، فقدت الأرواح الأنس بالله، وفقدت القدرة على التنعم بتلاوة القرآن، وحين أرادت أن تتقرب إلى الله في رمضان، وجدت أن قلوبها لم تعد قادرة على التواصل الإيماني مع أرواحها.

وهكذا، حين يضع البعض خططا كبيرة لتلاوة عدة أجزاء يوميا، رغم أنهم أهملوا ورد التلاوة طوال العام، يجدون أنفسهم فجأة غير قادرين على الاستمرار. فكيف لمن اعتاد الغفلة على مدار العام، حيث سعة الوقت وسهولة العبادة، أن يتجاوب قلبه فجأة خلال موسم الطاعات؟

كيف للبستاني الذي أهمل حديقته دون عناية وري، أن يجد الزهور تتفتح وينتشر عبيرها في الأرجاء.

يقول الله تعالى: {نَسُوا اللَّهَ فَنَسَتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ}¹.

أنسي البعض لذة القرب من الله في وقت الرخاء، فلم يعنهم على الطاعة في وقت الحاجة، في موسم لا يتعدى شهراً واحداً، لكنه يزخر بالفرص العظيمة.

ولا تقتصر الغفلة على هؤلاء، بل هناك من هم أشد حرماناً، ممن قضاوا سنوات يدخرون المال لأداء العمرة في العشر الأواخر، وتحملوا مشقة السفر، طمعاً في لذة الطاعة ومنتعة طالما اشتاقوا إليها، وقلوبهم ترفرف شوقاً لرؤية بيت الله.

جاءوا يبحثون عن ليلة القدر في المسجد الحرام، وخططوا لقضاء هذه العشر ما بين تلاوة القرآن وقيام الليل، وترطيب ألسنتهم بذكر الله والدعاء، ولكن...

هل استطاعوا حقاً الاستمتاع بتلك الليالي؟

هل غمرت قلوبهم بالإيمان والسكينة؟

للأسف، لا.

لقد حُرِّموا من هذا النعيم، وكأن قلوبهم غُلِّفت بالران، فضاعت منهم أجمل ليالي رمضان. كان منهم من يجلس ليتلو كتاب الله، لكنه ما إن يقرأ صفحة أو اثنين حتى يتلفت حوله، بحثاً عمّن يؤنسه، وكأن الأنس مع القرآن لم يعد كافياً له.

ومنهم من كان كلما همّ بتزطيط لسانه بذكر الله، أسرع إلى هاتفه، يشارك صور المكان مع أصدقائه، وينشغل بمتابعة التعليقات والإعجابات.

أنتعجبون من حالهم وتتساءلون عن سبب سلوكهم؟

---

¹ الحشر ١٩

أما الفئة الأولى، فقد اعتادت قلوبهم الأنس بالناس، ولم تأنس بالخلوة مع الله، فكان حديث المجالس أحب إليهم من حديث الله.

وأما الفئة الثانية، فقد انشغلت طوال العام بمشاركة تفاصيل حياتها على وسائل التواصل، حتى ألقت قلوبهم هذا الانشغال، فلم يجدوا أنفسهم حينما احتاجوا إليها. حتى جوارحهم لم تجد العون من ذلك القلب اللاهي، فتخاذلت أرواحهم، وأغلقت عنهم أبواب الطمأنينة.

لم يدركوا أن بذور الإيمان لا تنمو بين ليلة وضحاها، بل تحتاج إلى رعاية، وإلى قلب يسقيها بالمشاهدة والتقوى، حتى تزهر مع مرور الأيام والشهور.

فلنستعن بالله، ولنبدأ بجمع شتات قلوبنا، ولننفض عن أرواحنا غبار الكسل، ولنروض أنفسنا على الشوق إلى لقاء الرحمن.

وإن لم نشعر بعد بتلك الأشواق، فلنكسر قسوة القلب بالانكسار بين يديه سبحانه، متذللين له، مستشعرين عظمته، عسى أن يفيض على أرواحنا بنوره، فنصل إلى مقام الإحسان، حيث نعبده وكأننا نراه.

### ومضة:

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: (تَعَرَّفْ إِلَى اللَّهِ فِي الرَّخَاءِ يَعْرِفَكَ فِي الشُّدَّةِ)<sup>١</sup>.

---

<sup>١</sup> المستدرك على الصحيحين



(أي: أنك في حال سعتك ورخائك عليك أن تشتغل بطاعة الله عز وجل وبعبادته، حتى إذا أصابتك الشدة تجد من الله عز وجل الفرج وكشف الكرب والشدة)<sup>١</sup>.

والشدة ليست فقط في الأزمات والابتلاءات، بل تشمل أيضا تلك الأوقات القصيرة ذات الأجور العظيمة، التي لا تعوض.

---

<sup>١</sup> شرح الأربعين النووية، عبد المحسن عباد

## الصدق مع الله

هل ذقت قلوبنا طعم الحب الصادق يومًا؟

وهل نطقنا ألسنتنا بما يختلج فيها، وتجاوبت معها جوارحنا بالعمل والطاعة؟

أم أننا وقفنا في منتصف الطريق، عاجزين عن الوفاء، في حين كنا في أمس الحاجة إلى الصدق والثبات؟

مع كل أمنية نرسمها، وفي كل طريق نسلكه، تأتي لحظة تُفصح فيها قلوبنا عن حقيقة حبها، وعزيمتها، وإرادتها، فتفصح مكنوناتنا، وتكشف مدى صدق مشاعرنا تجاه الله سبحانه وتعالى.

فهل عشنا يوماً معنى الحب الصادق؟

ذاك الحب الذي يوقظنا في منتصف الليل، فنغسل أرواحنا بالوضوء، ثم تمتد أيدينا إلى سجادة الصلاة لنتنعم بالوقوف بين يديه سبحانه.

وهو الذي يجعلنا كلما ذهبنا إلى تجمعات، نرغب في التسلل بعيداً عن أعين الناس، لنختلي لبضع دقائق مع مصحفنا، نرتل منه آيات الرحمن.

وهو الذي يجعل قلوبنا تخفق حينما نتأمل ذكرياتنا مع صحبة الخير، ومع تلك المنافسات الجميلة في الطاعات، فنجد أنفسنا:

- تنبض قلوبنا بالشوق إليهم.
- تتسارع الأحرف والكلمات على ألسنتنا، لنحكي عنهم بحب وشغف.
- وفي كل وقت فراغ نجد أنفسنا نسارع إلى التواصل معهم، لتجديد العهد.

ذاك هو الحب الصادق، يبدأ بيقين في القلب، ثم تصديق باللسان، ثم تنطلق الجوارح إليه في شوق وسعادة.

فهل هذا هو حالنا مع رمضان؟

هل نشعر بصدق حبنا وشوقنا إليه؟

هل بدأت ألسنتنا تلهج بالدعاء أن يبلغنا الله رمضان بقلب مشتاق مفعم بالإيمان؟

هل بدأت أرواحنا وقلوبنا تتناغم مع جوارحنا لترؤّضها وتهيئها لرمضان؟

أَمْ أَنْ قُلُوبُنَا قَدْ تَخَاذَلَتْ، وَأَلَسْنَا قَدْ جَفَتْ، وَجَوَارِحُنَا قَدْ تَثَاوَلَتْ، فَكِرَهُ اللَّهُ  
أَنْبِعَاثُنَا؟

يقول الله تعالى في وصف من تخلفوا عن الجهاد:  
{وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ أَنْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ  
اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ}¹

في هذه الآية، يفضح الله حقيقة من تخلفوا، فقد كانوا يزعمون بألسنتهم  
أنهم يرغبون في الخروج، لكن أعذارهم الواهية وجوارحهم المتخاذلة فضحتهم  
وكشفت ما في قلوبهم. فأخبرهم الله عز وجل أنهم لو كانوا صادقين، لاستعدوا  
وأعدوا العدة، لكنهم كانوا كاذبين، فكره الله أنبعاثهم، فتركهم لتخاذلهم  
وتهاونهم.

رحمك يا الله،  
هل يمكننا تخيل ذلك؟

الله الغفور الودود، الذي يود عباده، ويحب قربهم، ويتقرب إليهم كلما  
تقربوا إليه، يكره قربهم!

الله الذي قال عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث القدسي:  
(يقول الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في  
نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم، وإن تقرب  
إلي بشبر تقربت إليه ذراعا، وإن تقرب إلي ذراعا تقربت إليه باعا، وإن أتاني  
يمشي أتيت هرولة)².

¹ التوبة ٤٦

² رواه البخاري

بالتأكيد، لن يكره الله قرب عباده، إلا إذا علم أن قلوبهم غير صادقة، وعلم بعلمه الذي وسع كل شيء أنهم سيستمرون على عدم صدقهم حتى الممات.

**ألا يجعلنا ذلك ننتفض ونفتش في قلوبنا؟**

ألا ينبغي أن نبصر حقيقتها بوضوح، دون مبررات أو أعذار، ممثلين لقوله تعالى:

{بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ \* وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ}¹.

ألا يدعونا ذلك لنتنبه لألسنتنا، ونسارع إلى جوارحنا، لنرى هل انغمست في فتن الدنيا، أم أنها ما زالت تجاهد الشهوات، وتجتهد للوقوف بين يدي الله في الخلوات، حتى يعيننا الله ويمدنا بقوة من لدنه، تساعدنا على تزكية أنفسنا وتهذيبها؟

إن أردنا التغيير بصدق، فلتكن البداية بتجديد النية، وعزم الصدق مع الله، والبدء الفوري بالعمل، حتى لا نكون ممن يكره الله انبعاثهم.

ولنجعل نصب أعيننا أن الاستعداد لرمضان وتهيئة القلب للعمل فيه هو علامة من علامات التوفيق، ودليل على صدق الرغبة في استشعار حلاوة الإيمان ولذة العبادة.

---

¹ القيامة ١٤ - ١٥

### ومضة

يقول ابن تيمية رحمه الله: (فَإِنَّ الْمُخْلِصَ لِلَّهِ ذَاقَ مِنْ حَلَاوَةِ عِبُودِيَّتِهِ لِلَّهِ مَا يَمْنَعُهُ عَنْ عِبُودِيَّتِهِ لغيرِهِ، وَمِنْ حَلَاوَةِ مَحَبَّتِهِ لِلَّهِ مَا يَمْنَعُهُ عَنْ مَحَبَّةِ غَيْرِهِ

إِذْ لَيْسَ عِنْدَ الْقَلْبِ لَا أَحَلَى وَلَا أَلَذُّ وَلَا أَطْيَبَ وَلَا أَلْيَنَ وَلَا أَنْعَمَ مِنْ حَلَاوَةِ الْإِيمَانِ الْمُتَضَمِّنِ عِبُودِيَّتَهُ لِلَّهِ وَمَحَبَّتَهُ لَهُ وَإِخْلَاصَهُ الدِّينَ لَهُ

وَذَلِكَ يَقْتَضِي انْجِدَابَ الْقَلْبِ إِلَى اللَّهِ فَيَصِيرُ الْقَلْبُ مُنِيبًا إِلَى اللَّهِ خَائِفًا مِنْهُ رَاغِبًا رَاهِبًا. كَمَا قَالَ تَعَالَى: {مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ}¹

¹ مجموع الفتاوى

## النية روح العبادة

هل تأملنا يوماً في أعماق النية؟

تلك الروح الخفية التي تمنح أعمالنا معنى وحياة، فتحولها من مجرد عادات إلى عبادات تنبض بالقرب من الله؟

كيف يمكن لنية واحدة أن تغيّر مسار قلوبنا، وتفتح لنا أبواباً جديدة للروحانية؟

لكل عمل روحٌ تنبض في داخله، تمنحه المعنى والرونق والجمال.

روح تضيء عليه الحياة، فتجعل منه أكثر من مجرد عادة، بل عبادة ذات أثر عميق على النفس والقلب.

وروح العبادة هي النية، ذلك المحرك الخفي الذي يشعل مشاعرنا، ويملأ وجداننا، ويحول كل لحظة عادية إلى فرصة للتقرب إلى الله.

فهل توقفنا يوماً لتتأمل في نوايانا عند أداء عباداتنا؟  
وهل جاهدنا لرفعها إلى أعلى المعالي، لنعيش كل لحظة عبادة حقيقية؟

وأهم من ذلك، ما هي تلك النية التي نقف عندها؟

- هل هي نية جمع الأجور فقط؟
- أم نية التسابق على الطاعات مع صحبة الخير؟
- أم نية التلذذ بحلاوة العبادة وسكينتها؟

أم هي نية أسمى من كل ذلك: نية فتح باب الود والوصال مع الله عز وجل؟  
فتشتاق أرواحنا للعبادة، لا من أجل لذتها وحلاوتها، ولا من أجل الأجور المترتبة عليها، بل كما يشتهي الحبيب حينما يرغب في قرب محبوبه!  
فتسير قلوبنا وأرواحنا وجوارحنا في تناغم مع العبادات، وتنفتح أمامنا أبواب القرب من الله سبحانه وتعالى.

أعظم النوايا على الإطلاق هي تلك التي نسعى من خلالها إلى القرب منه سبحانه، دون النظر إلى ما يترتب على ذلك من أجر أو لذة.

والله سبحانه وتعالى هو الكريم الذي لا يُضيع أجر من أحسن عملاً، كما وعدنا في قوله تعالى:



{إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا}¹.

يقول ابن القيم في وصف هذا المعنى:  
(سمعت شيخ الإسلام ابن تيمية يقول: (إذا لم تجد للعمل حلاوة في قلبك وانشراحاً فاتهمه، فإن الرب تعالى شكور) يعني أنه لا بد أن يثيب العامل على عمله في الدنيا من حلاوة يجدها في قلبه وقوة وانشراح وقرة عين فحيث لم يجد ذلك فعمله مدخول).².

فما أجمل أن يكون مقصدنا من العبادة هو القرب من الله!  
وكيف لا؟ وهو الذي يقترب منا أكثر مما نتصور، كما قال في الحديث القدسي واصفا علاقته بعباده:  
(وإن تقرب إلي بشبر تقربت إليه ذراعاً، وإن تقرب إلي ذراعاً تقربت إليه باعاً، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة)³.

لكن، ماذا لو لم نجد تلك الحلاوة في قلوبنا؟

هنا نحتاج إلى وقفة صادقة مع أنفسنا، ومجاهدة لتحقيق مقام العبودية؛  
فما فقدنا لذة القرب إلا بسبب غفلة قلوبنا عن عظمة الله، أو لعدم إخلاص  
النية له سبحانه، أو حينما انشغلنا عنه بما سواه وانغمسنا في الذنوب.

النية ليست مجرد شعور لحظي عابر، بل هي الزاد المحرك لكل عمل نقوم  
به.

فبقدر نوايانا تتسع أعمالنا، وتكبر أجورنا.

¹ الكهف ٣٠

² المستدرک على مجموع فتاوى ابن تيمية

³ رواه البخاري

ولا يكون على النية فقط، بل لابد من السعي الجاد والأخذ بالأسباب لتحقيقها حتى ننال الجزاء عليها.

لنتأمل:

عند ترتيب البيت، إذا كانت النية مجرد التنظيف، سيقتصر العمل على ما يتعلق بالتنظيف، ولن يكون الأجر فيه كبيراً، ولن يكون له أثر على النفس.

لكن، إن رتبناه بنية نشر الجمال والبهجة في نفوس الأسرة، لأن الله جميل يحب الجمال، فسنبذل فيه طاقة إضافية، لنشر لمسات الجمال، وإدخال السرور على أهل البيت، فننال الأجر العظيم.

وكذلك الصلاة، إن أُديت بنية أداء الفرض فقط، فسننال أجر الامتثال لله، لكن لن يكون فيها نفس الخشوع والحضور، كمل لو صليناها بنية القرب من الله، واستشعار أننا نقف بين يديه سبحانه، نناجيه بقلوبنا وأرواحنا وجوارحنا.

لهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

(إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا، أَوْ امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا، فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ).<sup>١</sup>

قوله: (إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ)، يعني أن قيمتنا عند الله لا تتحدد فقط بالأعمال التي نقوم بها، وإنما بالنية التي تحركها.

---

<sup>١</sup> رواه البخاري ومسلم

فمن كانت نيته أن يهاجر بقلبه وجوارحه إلى الله ورسوله، سيحرص على تجديد نواياه لتكون خالصة لله، ويجعلها زادا ينعش حبه لله ويزيده قرباً منه.

وسيكافأ بفضل الله بجنة الدنيا، حيث حلاوة الطاعة والأنس به سبحانه، ثم جنة الآخرة ونعيمها.

أما من كانت هجرته إلى الدنيا وملذاتها، فسيكون زاده من الفتن والشهوات، فيخسر لذة الطاعة في الدنيا، وعطاء الآخرة ونعيمها. وسيكون جزاؤه محدوداً بما ناله في الدنيا فقط، ولا نصيب له في الآخرة، والعياذ بالله.

وأجمل ما في هجرتنا إلى الله، أنها تحول تفاصيل حياتنا اليومية إلى عبادات تقربنا إليه، فنعيش معها في رحاب الإيمان.

وكل هذا لا يحتاج سوى نوايا صادقة، وقلب مشتاق للإيمان.

- عند ترتيب المنزل، نحتسب أجر إدخال السرور على قلوب أحببتنا.
- عند جمع ملابس الأطفال المبعثرة، نحتسب أجر إمالة الأذى عن الطريق، وندعو لهم بالهداية والصلاح.
- عند لقائهم، نبتسم لهم، ونستقبلهم بالكلام الطيب، محتسبين أجر الكلمة الطيبة صدقة.

فهل تفكرنا كيف هي هجرتنا في رمضان؟

- هل هي إلى هوى النفس وملذات الدنيا؟
- أم هي هجرة نلتمس فيها خطى حبيبنا المصطفى صلى الله عليه وسلم، لننال مرضاة الله ونعيم القرب منه؟

فلنحزم أمتعتنا، ولنزود قلوبنا بالتقوى والإيمان، ونهاجر فيها بأرواحنا وقلوبنا  
وجوارحنا، لننعم بنعيم الدنيا في مرضاة الله، ثم نشتاق إلى لقاءه سبحانه  
بقلب مخلص، يتوق إلى نعيم الآخرة.

## تفقد قلبك

هل تساءلنا يوماً عن حال قلوبنا قبل أن نستقبل رمضان؟

وهل تأملنا في رصيدنا الإيماني، لنرى إن كان زاداً يعيننا على استثمار هذا الشهر المبارك؟

لنغوص معاً في أعماق أرواحنا، لتفقد إيماننا، وشحن قلوبنا من جديد، حتى تحلق نحو القرب من الله في رمضان.

فهل نحن مستعدون لبدء هذه الرحلة؟

## حين يفتقد القلب شيئاً لا يدركه...

ذات ليلة، جلست مسك على سجادة الصلاة، وقد أثقلها إحساس غامض بشيء تفتقده روحها. شعرت أن قلبها بعيد، وكأن حاجزاً خفياً يفصلها عن الطمأنينة التي تبحث عنها. فهمست لنفسها:

"هل قلبي بخير؟ وهل هو مستعد لأن يُقبل على الله بكل صدق؟"

في تلك اللحظة، قررت أن تبدأ رحلة صغيرة: رحلة تفقد قلبها.

وهكذا هو حالنا جميعاً...

تمر الأيام، ويقترب رمضان، وتبدأ قلوبنا بالخفقان شوقاً لهذا الشهر الفضيل، حتى يكاد الشوق يلهب أرواحنا. لكن هل تكفي مشاعرنا وحدها لننعم بلذة الطاعة؟

أليس الإيمان هو إقرار في القلب، ونطق باللسان، وعمل بالجوارح؟

ألا نتمنى أن يتناغم هذا الشوق في قلوبنا، فتتطابق به ألسنتنا حينما نُرطبها بذكر الله وترتيل آيات القرآن، وتُقبل عليه جوارحنا في حب وخشوع؟

لهذا نحن بحاجة إلى تهيئة قلوبنا بوعي ونضج إيماني، حتى لا يدفعنا الحماس فجأة إلى الإضرار بأنفسنا، أو إلى فتور مفاجئ في منتصف رمضان.

نحتاج إلى وقفة صادقة مع أنفسنا، نتفقد فيها حال قلوبنا، ونتساءل:

- هل رصيدنا الإيماني في ازدياد، أم أنه ينقص يونا يعد يوم؟
- هل يحلق بنا نحو جنة النعيم، أم أنه ينجرّف بنا نحو الغفلة؟

يقول أبي الدرداء رضي الله عنه:

(إن من فقه المرء أن يتعاهد إيمانه، وما تغير منه)<sup>١</sup>.

أي أن من كمال الفقه والبصيرة أن يتفقد الإنسان حالة قلبه الإيمانية، ويراقب زيادتها أو نقصانها.

فهل تأملنا يوماً كيف يمكننا مراقبة قلوبنا بوعي؟ وهل بحثنا عن الطريقة المثلى لقياس رصيدنا الإيماني، وفهم أنفسنا، والعناية بقلوبنا حتى تُقبل على الله في رمضان؟؟

**لنُدوِّن... ونكتشف قلوبنا!**

لعل أيسر طريقة لتقييم قلوبنا بصدق، أن نخصص دفترًا جميلاً وأقلماً ملونة لتدوين حالتنا الإيمانية، ليس لجلد الذات أو التحسر على التقصير، بل للتعرف على أرواحنا من جديد، ورسم خارطة لحالتنا الإيمانية، لنتخذ أولى خطواتنا نحو التدرج في الارتقاء بها.

كيف نفعل ذلك؟

نُقسم دفترنا إلى أقسام تعكس أهم محاور عبادتنا، ونطرح تحت كل قسم أسئلة تعيننا على فهم حالنا مع الله.

**القرآن:**

- إلى أي مدى اعتنينا بإشباع أرواحنا من القرآن؟
- هل كان ذلك عبر التلاوة، الحفظ، المراجعة، أم الاستماع؟
- كم يوماً استغرقنا لختم القرآن؟

---

<sup>١</sup> تاريخ دمشق

- هل غمرت قلوبنا الخشية والسكينة أثناء تفاعلنا مع آياته؟

### ذكر الله:

- هل ربطنا ألسنتنا بذكر الله، وواظبنا على أذكارتنا اليومية؟
- كم وقتًا خصصنا يوميًا لترطيب ألسنتنا وإرواء ظمأ أرواحنا بالاستغفار، والتهليل، والتكبير؟
- هل وجدنا في قلوبنا الطمأنينة بذكره؟

### الصلاة:

- كيف كانت صلاتنا؟ هل أتممنا الفروض بخشوع، وأدينا أركانها كاملة؟
- هل حرصنا على أدائها في وقتها، أم كنا نتأخر ونضيع بعضها؟
- ماذا عن النوافل؟ هل كانت لنا ورد ثابت من السنن والصلوات الإضافية؟
- هل أكثرنا من السجود شوقًا لجوار الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم في الجنة؟

### قيام الليل:

- هل حرصنا على ركعتين خفيفتين بعد العشاء، ولو خفية بيننا وبين الله؟
- هل جعلنا قيام الليل عبادة سرية، تقي أرواحنا من الرياء، وتكسو وجوهنا بنور الإيمان؟



### الصيام:

- هل كنا نحرص على صيام يومي الإثنين والخميس، أو الأيام البيض من كل شهر؟
- هل استثمرنا مواسم الطاعات كسنة شوال، وعرفة، وعاشوراء؟

### الأعمال الصالحة:

- ماذا عن الصدقة، التوبة، الإحسان، وبر الوالدين؟
  - وهل كنا نحرص على صلة الأرحام، والصدق، والأمانة؟
- لنكن صادقين في أجوبتنا، فهي مفتاح الانطلاق نحو التغيير، وخطوتنا الأولى نحو إصلاح قلوبنا.

### هل يتجدد إيماننا أن يتسرب منا في صمت؟

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:  
(إن الإيمان ليخلق في جوف أحدكم كما يخلق الثوب، فاسألوا الله أن يجدد الإيمان في قلوبكم).<sup>١</sup>

فكما أن الثوب الجديد يبلى ويهترئ مع كثرة الاستخدام، فكذلك الإيمان، يتجدد بنور الطاعات، لكنه يتسرب منا بصمت تحت تأثير الغفلة والذنوب، حتى يوشك على النفاد دون أن نشعر.

الإيمان هو زاد القلوب، وإذا لم نغذّه باستمرار، فإنه يتلاشى، ويترك القلب في ظلمة الفتور.

---

<sup>١</sup> السلسلة الصحيحة

فلنتأمل هذه المشاهد اليومية التي تستنزف إيماننا دون أن نشعر:

- في الأماكن العامة  
يرتفع صوت الغناء فجأة، فننفر منه في البداية، فنستهلك جزءاً صغيراً من مخزوننا الإيماني لمقاومة فتنة الاستماع ونبني جدار يحمي القلب حين نشغل أنفسنا بذكر الله.  
وفي المرة الثانية، نستهلك جرعة أخرى من الإيمان لبناء جدار جديد، لكنه هذه المرة أضعف من سابقه. ومع مرور الوقت، يبدأ القلب يتآلف مع الصوت، فلم يعد ينتبه لوجوده، وربما تتردد بعض الكلمات في الذهن دون وعي، تاركة نكتة سوداء في القلب. وهكذا، كلما تكرر الموقف، أصبح جدار الحماية هشاً، وقد ينفذ رصيد الإيمان دون أن ندرك.
- في التجمعات العائلية أو مع الأصدقاء  
تنتشر الغيبة، فنشعر في البداية بالرفض وعدم الرغبة في المشاركة، حتى لو الحديث عن مواقف مسلية ومضحكة، ونستهلك جزءاً كبيراً من رصيدنا الإيماني كلما بقينا في هذا المجلس. ومع التكرار، قد يصبح الاستماع أمراً عادياً، وقد نجد أنفسنا يوماً ما نشارك فيه دون انتباه!
- في الطرقات  
حيث تكثر الفتن، نجد أنفسنا في صراع مستمر مع غض البصر. ومع كل موقف، نستنزف جزءاً من مخزوننا الإيماني.  
ومع كل موقف نمر به، نجد رصيدنا الإيماني يتناقص تدريجياً دون أن نشعر، وتزداد النكت السوداء في قلوبنا، حتى نفقد حساسيتنا تجاه المعاصي، ونجد أنفسنا فجأة في قاع الفتور.

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم:  
(إن المؤمن إذا أذنب<sup>١</sup> كانت نكتة سوداء في قلبه، فإن تاب ونزع واستغفر، صقل قلبه، فإن زاد زادت، فذلك الران الذي ذكره الله في كتابه: {كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ}<sup>٢</sup>)

### أنقذ قلبك الآن!

- لذلك، لا بد أن نولي قلوبنا رعاية خاصة، لا سيما ونحن مقبلون على رمضان.
- بداية هذه الرعاية بالدعاء الصادق والتذلل بين يديه سبحانه، سائلين المولى أن يجدد الإيمان في قلوبنا، فالقلب لا يستعيد نبضه الإيمان إلا إذا أمده الله بالحياة.
  - ثم نسقي أرواحنا بالقرآن، ليصبح ربيع قلوبنا، فتزهر في أعماقنا بذور الطمأنينة، وتنتشر في جوارحنا عطور السكينة، فنجد أنفسنا مقبلين على الطاعة بشغف، نروي بها ظمأ أرواحنا، ونحمي قلوبنا من الفتور والانجراف في دوامة الغفلة.
  - وأخيراً، لنحرص على متابعة أنفسنا، ومراقبة حال قلوبنا، فالإيمان يحتاج إلى تعاهد مستمر، وتجديد لا ينقطع. ولنسأل أنفسنا دائماً، هل إيماني اليوم أقوم مما كانت عليه في الماضي، أن الأيام أكلت من رصيده دون أن نشعر؟

بهذه الخطوات، نستقبل رمضان بقلوب نقية مفعمة بالإيمان، وجوارح متلهفة للعبادة، ليكون انطلاقاً نحو علاقة أقوم وأعمق بالله سبحانه وتعالى.

<sup>١</sup> الذنب يشمل المعصية والغفلة والتقصير والتفريط، وهو للمؤمن ولمن دونه

<sup>٢</sup> رواه ابن ماجه

## طهارة القلب

ما الذي يجعل قلوبنا تُشرق بنور الطاعة؟

وماذا يحدث عندما تتراكم عليها ظلمات الغفلة؟

بين نقاط سوداء تُثقل القلب K وأبواب التوبة المفتوحة لتنقيته، نجد أنفسنا في رحلة مستمرة نحو الطهارة الحقيقية.

## القلب... حيث يبدأ كل شيء

يقول ابن تيمية: (لا ريب أن الله يفتح على قلوب أوليائه المتقين، وعباده الصالحين، بسبب طهارة قلوبهم مما يكرهه، واتباعهم ما يحبه ما لا يفتح به على غيرهم)<sup>١</sup>.

فطهارة القلب هي المفتاح الذي يُفتح به للقلوب باب الهداية، فتنعم بنور الوحي الرباني، وتتذوق حلاوة الإيمان، وتبلغ مراتب الصلاح والتقوى.

وحين يحاصر القلب بغبار الذنوب، فإنه يفقد قدرته على استقبال هذا النور. ينعكس ذلك على ألسنتنا في كلماتها التي تفضح غفلتها، وترجمه جوارحنا في سلوكيات تفضح بُعدنا عن الله. فنجد أنفسنا نردد الأذكار دون أن نشعر بمعناها، ونؤدي حركات الصلاة التي أعتدناها بلا روح، ونتلو القرآن وكأنه نص عادي لا يمس القلب وننسى أنها رسالة من السماء.

فتأتينا كلمات رسول الله صلى الله عليه وسلم لتُذكرنا وتدلنا على الطريق: (ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب)<sup>٢</sup>.

فكيف نصلح هذه المضغة لتكون نبراساً ينير حياتنا؟ وكيف نعيد إليها طهارتها ونقاؤها؟

## حينما يتراكم الران...

حينما نبحت في أعماقنا ونتأمل في دقة خلقه لنا سبحانه، نجد هناك في الأعماق، بين أضلعنا حيث يسكن القلب، تلك المضغة الصغيرة التي لها أعظم

---

<sup>١</sup> مجموع الفتاوى

<sup>٢</sup> رواه البخاري

الأثر على أرواحنا وجوارحنا. إذا ما تعهدناها بالتوبة والاستغفار، وأحييناها بالذكر والطاعة، أزهرت ونشرت رحيق الإيمان على جميع جنوب حياتنا. أما إذا تركناها للغفلة، والتفريط، والمعاصي، نجد أبواب الهداية قد أغلقت عنها، ويبدأ القلب يتعثر على قدر غفلته وتفريطه، حتى تبدأ المعصية تترك أثرها في القلب كنكتة سوداء.

يقول الله تعالى:

{كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ}¹.

وهكذا، كلما ازداد الران، زادت المسافة بين قلوبنا وبين نور الهداية، حتى نصل إلى مرحلة يصبح فيها الذنب مألوفًا، فلا نتحرك للخوف من الله، ولا تدمع أعيننا عند سماع آيات القرآن، ولا تخشع أرواحنا عند الوقوف بين يديه.

ولننظرنا قلوبنا حينما تحيط بنا الملهيات:

- كيف نجد قلوبنا بعد ساعات نقضيها على وسائل التواصل الاجتماعي بلا ذكر أو تلاوة؟

- كيف يكون حال قلوبنا بعد جلسات مليئة بالقييل والقال؟

- كيف تؤثر الأيام التي تغيب فيها صلاة الفجر عن وقتها على صفاء أرواحنا؟

كيف لقلوب اعتادت الغفلة أن تخفق شوقًا إلى رمضان؟ وكيف لأرواح أرهقتها الذنوب أن تتذوق حلاوة الطاعة؟

---

¹ المطففين ١٤

## طريق الطهارة... رحلة مجاهدة

إذا أردنا لقلوبنا أن تتوق شوقاً إلى الله، وتتذوق حلاوة القرب منه، فلا بد أن نسلك طريقاً مليئاً بالتحديات، مصحوباً بالصبر والمجاهدة. يقول صلى الله عليه وسلم:

(حفت الجنة بالملكاه وحفت النار بالشهوات)<sup>١</sup>.

ورمضان هو الفرصة الذهبية لإعادة صياغة علاقتنا مع قلوبنا. إنه موسم تطهير الأرواح، وبناء حصون الطاعة حولها. يقول عبد الله الرازي: (إن سرّك أن تجد حلاوة العبادة وتبلغ ذروة سنامها؛ فاجعل بينك وبين شهوات الدنيا حائطاً من حديد)<sup>٢</sup>.

فكيف نبدأ رحلة تطهير القلب؟

### ١. الدعاء والاستعانة:

فالرسول صلى الله عليه وسلم لم يكن يدعو فقط بالعون على العبادة، بل كان يسأل الله الثبات عليها، ويقول: (اللهم إني أسألك الثبات في الأمر والعزيمة على الرشد، وأسألك شكر نعمتك وحسن عبادتك)<sup>٣</sup>.

### ٢. المداومة على التوبة والاستغفار:

التقصير والخطأ جزء من طبيعتنا البشرية، لذا فتح الله لنا أبواباً للتوبة والاستغفار، وجعل التوابين من خير البشر. يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: (كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون)<sup>٤</sup>.

---

<sup>١</sup> رواه مسلم

<sup>٢</sup> الزهد لابن أبي الدنيا

<sup>٣</sup> رواه النسائي في السنن الصغرى

<sup>٤</sup> رواه الترمذي

### ٣. عبادة الخلوات:

الصدق الحقيقي مع الله يظهر في عبادة الخلوات، حيث تخلص قلوبنا إلى الله، ولا يرانا أحد سواه.

في تلك اللحظات، بعيدا عن أعين البشر، حين نستشعر عظمة الله، ونتأمل آياته، ونناجيه بدموع صادقة. حينها فقط، نظهر قلوبنا من الرياء، ونشعر بلذة القرب منه.

### ٤. القرآن... مفتاح النقاء:

حين يمتلأ القلب بنور الوحي، يصبح منارة تنير لنا الطريق على مدار العام، ولا يتحمل أن يسكن فيه المعصية. يقول عثمان بن عفان رضي الله عنه: (لو طهرت قلوبكم ما شبعتم من كلام الله عز وجل)<sup>١</sup>.

رمضان فرصتنا لفتح صفحة جديدة نغسل فيها أرواحنا بالقرآن، ونسمح لها بأن تخترق أعماق أرواحنا لتنقيه وتطهره. إذا أردنا أن نعيش رمضان بروح مختلفة، فلا بد أن نبدأ اليوم، لا غداً.

- فلنراجع قلوبنا، ونتفقد طهارتها.
- فلنجدد التوبة، ونكثر الاستغفار.
- فلنبدأ رحلة عبادة الخلوات، حيث الصفاء الحقيقي.
- ولنجعل القرآن ربيع قلوبنا، فلا نشبع من كلماته أبداً.

<sup>١</sup> الزهد لأحمد



## ومضة

عن عبد الله بن المبارك -رحمه الله- قال:  
(قيل لوهيب بن الورد -رحمه الله وهو أحد العبّاد-: أيجد طعم العبادة من يعصي الله؟ قال: لا، ولا من همّ بمعصية!)<sup>١</sup>.

لنتأمل قوله "ولا من همّ بمعصية"، حيث لم تكن المعصية مجرد حديث نفس، بل تحولت إلى عزيمة انعقدت في القلب والسعي لها، وإن لم تُنفذ. فكيف لمن انشغل قلبه بالعزم على الذنب أن يجد حلاوة العبادة؟

ومع ذلك، فإن رحمة الله واسعة؛  
فمن همّ بالمعصية ثم تراجع عنها خائفاً من الله وتاب، كُتبت له حسنة،  
كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ومن همّ بسيئة فلم يعملها،  
كتبها الله له عنده حسنة كاملة)<sup>٢</sup>.

أما من عقد العزم عليها ولم يتراجع، فإنها يؤاخذ بعزمه وإن لم يُنفذها، كما  
قال أهل العلم.

فالقلوب التي تهفو إلى الله، وتنشد القرب منه، لا بد أن تبتعد عن مواطن  
العصيان، بل حتى عن هواجسها، لتظل مهياًة لتلقي أنوار الإيمان، وتتذوق  
حلاوة الطاعة.

فهل نحن مستعدون أن نطهر قلوبنا، حتى تشرق بنور رمضان؟

---

<sup>١</sup> حلية الأولياء

<sup>٢</sup> رواه البخاري

## لصوص القلب

حينما نخطط للارتحال إلى الله، تتربص بنا لصوص الغفلة، ليختطفوا أجمل لحظات الطاعة، ويلبسون قلوبنا غُلالة من الانشغال، فنتوه في زحام الحياة، ونفقد الطمأنينة التي كانت تغمرنا بالقرب منه سبحانه.

فكيف نُحصِّن قلوبنا من هذه السرقات؟  
كيف نحمي أنفسنا من أن نفقد لذة القرب من الله في زحام الدنيا وفتنتها؟

### حين تتسلل اللصوص...

جلست مسك لتبدأ وردها القرآني، شوقاً لأن تروي عطش روحها بذكر الله. همّت بوضع هاتفها جانباً لتتناول مصحفها، لكن فجأة ظهر إشعار جديد. فتحتة لتجد رسالة كانت تنتظرها من معلمتها. قرأتها سريعاً، ثم لاحظت إشعاراً آخر من برنامج علمي تدرسه. مرت عليه سريعاً، ثم وجدت إشعاراً من حلقة القرآن، فأخبرت نفسها أن هذا سيكون آخر ما تتصفحه قبل أن تفرغ تمامًا للقرآن.

لكن، بعد أن أنهت ذلك، نظرت إلى ساعتها لتجد أن وقت تحضير الطعام قد حل. ذهبت إلى المطبخ وهي تشعر بحزن عميق... لقد مر الوقت، ولم تُشبع روحها بالطمأنينة التي كانت تتوق إليها.

هكذا هي لصوص القلب!

تأتي متسللة، تتخفى في تفاصيل صغيرة، لكنها في الحقيقة تسرق منا أعمق معاني السعادة. تتركنا مُحاطين بالحرمان، وقلوبنا تتصارع بين الشوق إلى الطاعة، وبين الشعور العميق بالتقصير. ومع كل لحظة كنا نعيش فيها أمان القرب من الله، ونرتوي من وصاله، تأتينا تلك اللصوص لنكتشف فجأة أن شيئاً ما قد أفلت منا، وابتعد عنا تدريجياً، حتى يُحرمننا من تلك السعادة الروحية التي كنا ننعم بها.

فما الحل؟ وكيف نحمي قلوبنا من تلك اللصوص الخفية؟

### كيف تُسرق القلوب؟

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن العبد إذا أخطأ خطيئة نكتت في قلبه نكتة سوداء، فإذا هو نزع واستغفر وتاب سقل قلبه، وإن عاد زيد فيها

حتى تعلو قلبه وهو الران الذي ذكر الله: {كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ}¹.

والخطيئة ليست بالضرورة أن تكون ذنبًا ظاهرًا كالكذب والغيبة، بل قد تكون غفلة بسيطة عن التزوّد بالإيمان، أو تقصيرًا في أداء العبادة، أو التسويف والانشغال بما هو أقل أهمية.

ومع كل لحظة غفلة، تُضاف نقطة سوداء إلى القلب، نقطة قد تبدو صغيرة في البداية، لكنها تتراكم ببطء حتى تحجب نور الإيمان، وتملأ القلب بقسوة مظلمة، حتى يفقد إحساسه بلذة الطاعة.

لكنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم يفتح لنا أبواب الأمل بقوله:  
(إِذَا هُوَ نَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ وَتَابَ سُقِلَ قَلْبُهُ).

لم يقل "توقف"، بل قال "نزع". وكأن الغفلة مثل حشائش ضارة تمتد جذورها في أعماق القلب، تغذيها غفلتنا وتقصيرنا. ولا يكفي أن نتوقف عنها، بل لابد نحتاج إلى اقتلاعها من جذورها، وغسل آثارها بنهر من الاستغفار والتوبة، حتى يعود القلب نقيًا من جديد.

### تحصين القلب من اللصوص

لهذا، ينبغي أن نحمي قلوبنا ونمنحها العناية التي تستحق، بسد كل المنافذ التي تتسلل منها لصوص الغفلة. وتعاهد القلب بالاستغفار المستمر، حتى لا يتسرب إليه الران دون أن نشعر.

١. "لا حول ولا قوة إلا بالله" ... سلاح قوي ضد الغفلة

¹ رواه الترمذي

فهي كنز من كنوز الجنة، وسبب في الاستعانة بالله على ضعفنا.  
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ألا أدلك على كلمة من كنز الجنة؟ قلت: بلى، قال: "لا حول ولا قوة إلا بالله)".<sup>١</sup>

## ٢. الاستغفار

يقول الشيخ محمد المختار الشنقيطي:  
(ذنوب العبد تحرمه التوفيق!! ما ألزم عبد قلبه الاستغفار... إلا زكى،  
وإن كان ضعيفا قويا، وإن كان مريضا شفي، وإن كان مبتلى عوف،  
وإن كان محتارا هدي، وإن كان مضطربا سكن. وإن الاستغفار... هو  
الأمان الباقي لنا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم !!). ه كلامه  
ويضيف ابن كثير رحمه الله:  
(وَمَنْ اتَّصَفَ بِهَذِهِ الصِّفَةِ - أَي: صفة الاستغفار - يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ رِزْقَهُ،  
وَسَهَّلَ عَلَيْهِ أَمْرَهُ، وَحَفِظَ عَلَيْهِ شَأْنَهُ وَقُوَّتَهُ؛ وَلِهَذَا قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:  
{يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا})<sup>٢</sup>.

## ٣. التوبة نهج حياة<sup>٣</sup>... وسبب لمغفرة الذنوب:

■ عند الوضوء:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أَيُّمَا رَجُلٍ قَامَ إِلَى وَضُوئِهِ  
يُرِيدُ الصَّلَاةَ، ثُمَّ غَسَلَ كَفَّيْهِ نَزَلَتْ خَطِيئَتُهُ مِنْ كَفِّهِ مَعَ أَوَّلِ  
قَطْرَةٍ، فَإِذَا غَسَلَ وَجْهَهُ نَزَلَتْ خَطِيئَتُهُ مِنْ سَمْعِهِ وَبَصَرِهِ مَعَ  
أَوَّلِ قَطْرَةٍ، فَإِذَا غَسَلَ يَدَيْهِ إِلَى الْمَرْفَقَيْنِ وَرِجْلَيْهِ إِلَى الْكَعْبَيْنِ  
سَلِمَ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ هُوَ لَهُ وَمِنْ كُلِّ خَطِيئَةٍ، كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ وَلَدَتْهُ

<sup>١</sup> رواه البخاري

<sup>٢</sup> تفسير ابن كثير

<sup>٣</sup> وقد أفردت لها كتابا بعنوان "التوبة أسلوب حياة" للتوسع في هذه المعاني

أمّه، فإذا قام إلى الصلاة رفعه الله عز وجل بها درجة، وإن قعد قعد سالميًّا<sup>١</sup>.

■ بعد الطعام:

قال النبي صلى الله عليه وسلم: (مَنْ أَكَلَ طَعَامًا ثُمَّ قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَطْعَمَنِي هَذَا الطَّعَامَ وَرَزَقَنِيهِ مِنْ غَيْرِ حَوْلٍ مِنِّي وَلَا قُوَّةَ، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ)<sup>٢</sup>.

■ عند النوم:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (طَهَّرُوا هَذِهِ الْأَجْسَادَ طَهَّرَكُمُ اللَّهُ؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ عَبْدٌ يَبِيتُ طَاهِرًا إِلَّا بَاتَ مَعَهُ مَلَكٌ فِي شِعَارِهِ لَا يَنْقَلِبُ سَاعَةً مِنَ اللَّيْلِ إِلَّا قَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِعَبْدِكَ؛ فَإِنَّهُ بَاتَ طَاهِرًا)<sup>٣</sup>.

وفي حياتنا اليومية لحظات كثيرة كهذه، تمثل أبوابًا لمغفرة الذنوب، وتنقية القلوب، وتقوية الحصون الإيمانية.

**لنبدأ اليوم... قبل أن يعلف الران قلوبنا**

فلنبدأ اليوم بتجديد توبتنا، والاستغفار المستمر، قبل أن تسرقنا الغفلة. ولنتفكر في حال قلوبنا.

٥. هل لازالت تخشع عند سماع القرآن؟

٦. هل تستشعر لذة الذكر، أم أن الأذكار كلمات تُقال بلا روح؟

٧. هل تشعر بحلاوة القرب من الله، أم أن القلب لم يعد ينبض بالشوق

إليه؟

<sup>١</sup> صحيح الجامع

<sup>٢</sup> صحيح الجامع

<sup>٣</sup> صحيح الجامع

لنراجع أرواحنا، ونحصنها من اللصوص، قبل أن يغلق الران أبواب العودة!  
فلا شيء أثنى من قلبٍ حي، نابضٍ بالإيمان، خاشعٍ لذكر الله، متلهفٍ للقرب  
منه. رمضان فرصة لمن يريد أن يستعيد قلبه، ويصلح علاقته بالله.

## لizardاوا إمانا

هل نشعر أن عباداتنا في رمضان تفتقد السكينة؟

هل نؤدي الطاعات، ومع ذلك لا نجد أثرها في قلوبنا؟

وهل تأملنا يوما كيف يمكن للسكينة أن تكون مفتاحًا لزيادة إيماننا وتجديد

علاقتنا بالله؟



### حين تساءلت ...

جلست مسك تتأمل حالها على مدار الأسابيع الماضية، وقد كانت تجتهد في الإكثار من العبادات قربة إلى الله، استعداداً لرمضان، حتى تتمكن من الاستزادة أكثر في هذا الشهر الفضيل.

لكن رغم اجتهداتها، لم تشعر بزيادة الإيمان في قلبها. حاولت أن تجدد نيتها، ربما لم تكن عباداتها خالصة تماماً لوجه الله، أو ربما أخلت بشيء في أدائها، لكنها رغم ذلك لم تشعر بأي تغيير.

لجأت إلى الله تدعوه وتناجيه بدموع خاشعة أن ينير بصيرتها ويرشدها لموطن الخلل، وظلت تبحث عن الإجابة في طيات العبادات.

وفي أحد الأيام، بينما كانت تتلو القرآن، مرت على قوله تعالى:  
{هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ}¹  
عندها، شعرت أن الآية تتفتح في قلبها لأول مرة... السكينة هي المفتاح!

### سكينة القلب ... مفتاح الإيمان:

السكينة ليست مجرد شعور بالراحة، بل هي البوابة الرئيسية التي نحتاج أن نمر من خلالها لنتمكن من التزود بالإيمان. بدونها، ستظل قلوبنا عطشى مهما اجتهدنا في الطاعات، ولن نشعر بلذة القرب من الله، مهما أقمنا الأذكار وختمنا القرآن وقمنا الليل.

فهل هذا هو حالنا مع جداول العبادات التي نضعها لأنفسنا، خاصة في رمضان؟

---

¹ الفتح ٤

كم مرة لجأنا إلى جداول طاعات جاهزة، وضعنا فيها أهدافا دقيقة وسعينا  
لوضع ☒ بجانب كل إنجاز؟

لكن ... كيف كان حال قلوبنا وأرواحنا ووجداننا؟

- هل شعرنا بالسعادة والفرح تنبع من أعماقنا؟
- هل استطعنا التحليق مع معاني الآيات ونحن نرتلها؟
- هل خشعنا في صلاتنا، وغمرتنا الطمأنينة في قيامنا؟
- هل تدبرنا الأذكار التي نكررها كل يوم؟

أم أننا كنا نؤدي عباداتنا كمهام يومية، فقط لنكمل قائمة الأهداف؟

- ألم نكن نرتل الآيات بالسنتنا، بينما أعيننا تسارع النظر إلى رقم الصفحة التي نريد الوصول إليها؟ وربما اختلسنا النظر إلى الساعة لنحسب كم من الوقت مر؟
- وفي صلاتنا، ألم يكن جل تركيزنا في عدد الركعات المتبقية لنهي القيام، وغفلنا عن الخشوع فيها؟
- ومع أذكارنا، كنا نرددها سريعا، دون أن نتأمل معانيها.

لقد كان اهتمامنا هو إنهاء المهام في خطتنا الرمضانية، وغفلنا عن انشغال قلوبنا وغفلتها عن الغاية الحقيقية من العبادات: تحقيق السكينة، لم ننتبه إلا حينما زاد تعطشنا الإيماني حتى بدأ الفتور يتسلل إلينا، وتفلت الإيمان منا، والله المستعان.

فأني لقلب أن يزيد إيمانه وهو لم يحقق السكينة بعد؟

## رحلة البحث عن السكينة

٨. في تلاوة القرآن:

لنرتل آيات الله كأننا نقرأ رسالة خاصة من الله لنا. لنغوص في جمال معانيها، ونسبح في نورها، دون أن نقيد أنفسنا بعدد صفحات أو وقت محدد. يقول الله تعالى:

{كَتَبَ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ}¹

فالسكينة تأتي من تدبرنا للآيات، لا من عدد الصفحات التي نقرأها.

٩. في الصلاة:

لنبحث عن سكون قلوبنا في الصلاة بتحقيق مقام العبودية. فنقف بين يدي الله كأننا نراه، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:  
(الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك)².  
حين نجعل كل ركوع وسجود رحلة نحو الله، سنشعر وكأننا نلقي بهمومنا عند أعتابه، وئمتلاً قلوبنا بالسكينة والطمأنينة.

١٠. في الذكر والدعاء:

فلنردد أذكارتنا، ولنرفع أكفنا بالدعاء بقلوب خاشعة، نستشعر فيها مناجاة الله:

{الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ}³ [الرعد ٢٨]

فالذكر والدعاء... معراج الأرواح إلى الطمأنينة.

¹ ص ٢٩

² رواه البخاري

³ الرعد ٢٨

## ثمار السكينة

حينما تتحقق السكينة، تبدأ حلاوة الإيمان تفوح في أرواحنا، وتتغير نظرتنا للعبادة:

- تصبح الصلاة راحةً، لا مجرد فرض.
- يصبح القرآن ربيعاً للقلوب، لا مجرد صفحات تُقرأ.
- يصبح الذكر نوراً للقلب، لا مجرد كلمات تُردد.

يقول النبي صلى الله عليه وسلم:

(من صام رمضان إيماناً واحتساباً غُفر له ما تقدم من ذنبه)<sup>١</sup>.

إن السكينة تمنحنا اتصالاً حقيقياً بالله، فتزيد إيماننا، وتجعل كل عمل نقوم به ينبض بالحب والرضا.

### ومضة:

لنبدأ رحلتنا الإيمانية بالبحث عن السكينة. فهي مفتاح كل خير وأساس كل زيادة في الإيمان.

---

<sup>١</sup> رواه البخاري

## تحقيق العبودية

هل العبودية مجرد عبادات نؤديها، أم أنها جوهر أعمق يتغلغل في قلوبنا،  
ويشكل أرواحنا، ويربطنا بخالقنا في كل لحظة؟

لنتأمل مفهوم العبودية الحقيقي، ونتعرف على سماتها، ونكتشف كيف  
لهذه الصبغة الإيمانية أن تنير حياتنا وتجعلنا أكثر قربا منه سبحانه.

### حين بحثت عن الجواب...

كانت مسك تجمع أوراقها حينما دخلت عليها رفيقتها علا، وعلامات الحزن تكسو وجهها.

أسرعت مسك نحوها بقلق وسألتها:  
علا، ماذا حدث؟ هل أصابك مكروه؟

أجابت علا بصوت حزين:  
أنا بخير، الحمد لله... لكن قلبي ليس كذلك.

نظرت إليها مسك بتعجب:  
لا أفهم، ما الذي تقصدين؟

قالت علا وهي تنظر إلى الأرض:  
منذ فترة، وأنا اجتهد في أداء العبادات، وأحاول جعلها أسلوب حياة، لكني لا أستطيع تذوق حلاوتها. أحياناً أشعر بثقلها على قلبي، رغم رغبتني في أدائها، واجتهادي لتكون خالصة لله.

ربت مسك على يديها بحنان وقالت:  
وهل سعت لتحقيق مقام العبودية أثناء أدائك لتلك العبادات؟

### العبادة... وسيلة لا غاية

كثيراً ما نحرص على أداء العبادات تقرباً إلى الله، ونجتهد في تعلم أحكامها وأركانها. لكننا نغفل أحياناً عن أن العبادات ليست الغاية في حد ذاتها، بل وسيلة للقرب منه سبحانه.

وإذا تأملنا حال الصحابة في بداية البعثة، نجد أنهم آمنوا وأحبوا الله حبا عظيما أعانهم على تحمل الشدائد والمحن قبل أن تُفرض عليهم الصلاة أو الصيام أو العبادات التفصيلية، ومع ذلك، كانوا أكثر الناس تحقيقا لمقام العبودية!

بل إن أبا بكر الصديق رضي الله عنه كان في مقام أعلى من غيره، رغم أن بعض الصحابة أتى بعبادات أكثر.

وهناك من الصحابة من أسلم ثم مات بعد فترة قصيرة وبُشر بالجنة، بينما عاش آخرون سنوات في العبادة ولم يُبشروا بمثل ذلك.

فما السر؟

السر لا يكمن في كثرة العبادات فقط، بل في فهم حقيقة العبودية وجعلها صبغة تملأ القلب والروح.  
يقول الله تعالى:

{صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَبِيدُونَ}¹

هذه الصبغة ليست مجرد مظهر خارجي، بل هي نور الإيمان الذي يملأ القلب، يعمره بالخضوع والاستسلام له سبحانه، ويزينه باليقين والمحبة والخشية.

لكن كيف نحقق هذا الإيمان العميق في زمن كثرت فيه الفتن والانشغالات؟  
كيف نجعل العبودية جزءا من تفاصيل حياتنا اليومية؟

---

¹ البقرة ١٣٨

## سمات العبودية لله

### ١. تعظيم الله وإجلاله:

تحقيق العبودية يبدأ بتعظيم الله في قلوبنا، ومعرفته بأسمائه وصفاته، واستشعار عظمته في كل لحظة. فمن عرف الله، أحبه وخافه، وخشي أن يزيغ قلبه عن حق. والخشية ليست خوفاً مجرداً، بل هي مزيج بين الهيبة والمحبة، كخشية الحبيب أن يغضب محبوبه. لكن العبد المؤمن لا يعيش تحت جناح الخوف فقط، بل تحت جناحي الخوف والرجاء، مستعيناً بالله، متطلعاً إلى رحمته الواسعة، ساعياً إلى نيل محبته ومغفرته.

### ٢. معرفة مقام العبد أمام الملك

الله سبحانه ملك الملوك، الأمر الناهي، بيده كل شيء. ومن سمات العبودية أن نعرف حدودنا كعبيد. فلا يجوز لنا مخالفة أوامر الملك، ولا منازعته في حكمه. مخالفتنا لله هي نقص في مقام العبودية، وتكبر عن خضوعنا له سبحانه.

### ٣. الاستسلام لله... هو مفتاح السعادة

العبودية ليست ضعفاً، بل هي قمة القوة والطمأنينة، لأنها تربطنا بمصدر الكمال والرحمة.

حينما نستسلم كلياً لله، ونوقن أن سعادتنا في القرب منه، تتحول حياتنا كلها إلى رحلة إيمانية مستمرة.

يكفينا يقيننا بأن الله يسأل عن عبادته كل يوم، فينسبنا إليه بلفظ "عبادي!"

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يتعاقبون فيكم: ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر، ثم يعرج



الذين باتوا فيكم، فيسألهم وهو أعلم بهم: كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: تركناهم وهم يصلون، وأتيناهم وهم يصلون)<sup>١</sup>.

٤. كمال العبودية في التذلل والانكسار بين يدي الله  
كلما ازداد العبد فقراً إلى الله، ازداد قرباً منه. حاجتنا له هي مفتاح خضوعنا وانكسارنا بين يديه.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:  
(أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، فأكثرُوا الدعاء)<sup>٢</sup>

٥. التواضع وعدم الكبر  
التواضع من أعظم سمات العبودية. فلا يجوز للعبد أن ينازع الله في صفات الكمال، مثل الكبرياء والعلو

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (قال الله عز وجل: الكبرياء ردائي، والعظمة إزاري، فمن نازعني واحداً منهما قذفته في النار)<sup>٣</sup>.

ولا ينبغي للعبد أن يرى لنفسه قدراً فوق الآخرين، بل عليه استحضار نعم الله ونسبة الفضل إليه سبحانه، فهذا مما يورث القلب محبته والخضوع له.

### العبودية: طمأنينة القلوب وقوة الأرواح

كلّما حققنا مقام العبودية في حياتنا، شعرنا بالطمأنينة والقرب من الله.

لكن الوصول إلى هذا المقام يتطلب ممارسة وتدريباً، حتى تصبح الطاعات لذة لا فرضاً، وتتحول العبودية إلى أسلوب حياة وصبغة نتسم بها في كل تفاصيل يومنا.

---

<sup>١</sup> رواه البخاري

<sup>٢</sup> رواه مسلم

<sup>٣</sup> رواه أبي داود

## ١. في الصلاة: رحلة خضوع ومناجاة

حين نقبل على الصلاة، نبدأ بالوضوء، نغسل عنا آثار الذنوب ونستعد للوقوف بين يدي ملك الملوك. وعندما نقف في الصلاة، ننظر إلى موضع السجود بقلوب خاشعة في هيبة له سبحانه، ونرفع أيدينا بتكبيره الإحرام تحيةً وتعظيمًا له سبحانه، فنستشعر تعظيمه في قلوبنا وتنطق بها ألسنتنا وتتفاعل معها جميع جوارحنا. ثم نناجي الله بتلاوة الفاتحة، نستشعر حوار معناه في كل آية، ونركع خضوعًا، ونسجد تذللًا وانكسارًا، حيث نشعر بفقرتنا واحتياجنا، وقربنا منه. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، فأكثروا الدعاء)<sup>١</sup>.

## ٢. في رعاية الأبناء: أمانة ومسئولية

رعاية الأبناء عبادة وأمانة كبرى ومسئولية عظيمة، نستشعر فيها قول النبي صلى الله عليه وسلم: (كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته)<sup>٢</sup>. وترافقنا مراقبة الله في كل كلمة وهمسة وخاطرة فنراجع أنفسنا ونسألها:

- هل طريقتنا في الحديث معهم ترضى الله المملك؟
- هل الألفاظ التي نستخدمها، خاصة وقت الغضب، مما يُحب الله أن يسمع منا؟
- هل نفتدي في تربيتهما بهدي النبي صلى الله عليه وسلم، بحلمه ورحمته مع الأطفال ومع أهل بيته؟

<sup>١</sup> رواه مسلم

<sup>٢</sup> رواه البخاري

- هل نعاملهم مهتدين بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه)<sup>١</sup>.
- فرعاية الأبناء ليست مجرد مسئولية يومية، بل هي ميدان لتحقيق مقام العبودية لله.
- ٣. في العمل: تحقيق مقام الإحسان والعمل جزء لا يتجزأ من عبوديتنا لله، وهو فرصة لنعيش معاني الإحسان والإتقان. فنتساءل دائماً:
- هل أدينا عملنا بالشكل الذي يحبه الله ويرضاه؟
- هل سعينا إلى الإتقان واستشعرنا معية الله ونحن نعمل؟
- هل تحليلنا بحسن الخلق مع زملائنا لمرافق نبينا صلى الله عليه وسلم الي قال: (أنا زعيم ... وببيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه)<sup>٢</sup>.
- فبهذا تصبح كل ساعة من ساعات العمل عبادة تقربنا إلى الله.
- وحين تصطبغ تفاصيل حياتنا بنور الإيمان، تتحول كل أقوالنا وأفعالنا وخواطرنا إلى عبودية خالصة لله، فنعيش حياتنا تحت مظلة قوله تعالى: {قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}<sup>٣</sup>.
- ويصبح المنهج الرباني هو الدليل الذي يوجهنا، والوقود الذي يدفعنا نحو عبوديته جل في علاه. وحين يصبح الوحي المركزية في تعاملاتنا، نعيش بمقاييس السماء لا بموازين الأرض.

---

<sup>١</sup> رواه البخاري

<sup>٢</sup> رواه أبي داود

<sup>٣</sup> الأنعام ١٦٢

## رمضان... فرصة لتحقيق العبودية

رمضان ليس مجرد شهر صيام، بل هو فرصة عظيمة لتدريب النفس على الطاعات، وترسيخ العبودية في حياتنا، وإعادة صياغة علاقتنا بالله.

فهو زمن مبارك، تتضاعف فيه الأجور، ويقترّب فيه العباد من الله أكثر، فتكون القلوب أكثر صفاء، والأرواح أكثر استعداداً للتخليق في سماء العبودية.

### ومضة

العبودية تبدأ من القلب، حين يخضع لله، ويصدق في إيمانه به.  
ثم تنعكس على الجوارح طاعةً وخشوعاً وإخلاصاً.

كلما ازداد القلب خضوعاً، ارتقى العبد إلى مقام الإحسان، حتى يصبح عبداً لله في كل لحظة من حياته.

## الاستمداد بالقرآن

كيف استطاع القرآن أن يمنح رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك القوة الروحية العجيبة التي جعلته أجود بالخير من الريح المرسلة بعد مدارسته له؟

وما السر وراء هذه التوأمة الروحانية بين رمضان وكتاب الله؟ وهل يمكن أن نعيش تلك اللذة ونستمد منها قوتنا كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم؟

جلست مسك تتصفح صحيح البخاري، وفتحت "كتاب الصوم - باب أجود ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يكون في رمضان." فتوقفت عند حديث ابن عباس رضي الله عنهما:

(كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود الناس وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان جبريل يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن، فلرسول الله صلى الله عليه وسلم، حين يلقاه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة).<sup>١</sup>

تأملت الحديث مليا، لطالما كانت مدرسة جبريل عليه السلام للنبي صلى الله عليه وسلم أمرا يثير تساؤلها:

- لماذا كانت المدارس في رمضان تحديدا؟
- ما السر في ارتباط هذا الشهر الكريم بتدارس القرآن، رغم انشغال النبي صلى الله عليه وسلم بالعبادة؟
- كيف جعلت هذه المدارس النبي صلى الله عليه وسلم أجود من الريح المرسلة؟

إنها سطوة القرآن العجيبة! ذلك الكتاب الذي إذا تغلغلت معانيه في القلوب، صبغتها بنوره، وأطلق فيها ينابيع العطاء، حتى يفوق أثره كل جود عرفه البشر.

تلك السطوة التي جعلت القرآن ورمضان كالتوأمين المتناغمين لا ينفصلان، ليس عنده صلى الله عليه وسلم وحده، بل عند كل من اهتدى بهديه.

---

<sup>١</sup> رواه البخاري

ففي النهار، حين تصوم أجسادنا عن الطعام والشراب، يأتينا القرآن ليروي ظمأ أرواحنا، ويغذي قلوبنا بأنوار الحكمة. وحين يسكن الليل، ويخلو كل منا إلى نفسه، يغدو القرآن خير أنيس، حيث نعيش في رحاب كلماته، نتنعم برفقته، ويثبت فينا الطمأنينة.

### أثر الصيام والقرآن على الروح

هنا تضيء كلمات ابن القيم السبيل لفهم هذه العلاقة بين البدن والروح حيث يقول: (خُلِقَ بدن ابن آدم من الأرض، وروحه من ملكوت السماء، وقرن بينهما، فإذا أجاع بدنه وأسهره وأقامه في الخدمة، وجدت روحه خفة وراحة، فتاقت إلى الموضع الذي خلقت منه، واشتاقت إلى عالمها العلوي، وإذا أشبعه، ونعمّه، ونوّمه، واشتغل بخدمته وراحته، أخلد البدن إلى الموضع الذي خُلِقَ منه، فانجذبت الروح معه، فصارت في السجن).<sup>١</sup>

لقد خلق الله جسد الإنسان من تراب الأرض، ونفخ فيه من روحه سبحانه. ومن حكمته أنه جمع بين الجسد والروح، فبث في كل منهما غذاء خاصاً به، فغذاء الجسد من الأرض وثمارها وملذاتها، بينما غذاء الروح هو ما يربطها بعالم السماء، فمتى ما جاع البدن بالصيام، وخفت أثقاله، انشغلت جوارحه بعبودية الله، ارتقت الروح، واشتاقت إلى عالمها العلوي عند سدرة المنتهى حيث النعيم والسرور والحياة الطيبة. وإن غرق الجسد في ملذات الدنيا، ثقلت الروح وانجذبت معه إلى الأرض وصارت سجيناً للشهوات والملذات، تعاني من الضيق والهموم.

---

<sup>١</sup> الفوائد

## مدارسة القرآن وأثرها على الجود

لهذا السبب، كان جبريل عليه السلام يلقي رسول الله صلى الله عليه وسلم كل ليلة في رمضان ليدارسه القرآن. كانت روحه صلى الله عليه وسلم تروى من معين الوحي، وترتقي إلى أعلى درجات القرب من الله، متشبعة بجمال معانيه، فتفيض نفسه الطاهرة بالخير كما تفعل الريح المرسلّة، سريعة في عطائها، شاملة في إحسانها لكل من حوله.

وهذه سنة الله فيمن يعايش القرآن بصدق! فمن تغذى قلبه بآيات الله، امتلأ يقينا، وزهد في الدنيا، وانطلقت جوارحه في ميادين الخير، وصار أثر القرآن ظاهرا في أفعالهم وأخلاقهم.

لذا نجد الله سبحانه وتعالى يصفهم وصفا مؤثرا، قائلا:  
{إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ} \* تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ<sup>١</sup>.

تأملوا هذه الآيات العظيمة! كيف يصورهم الله سبحانه: قلوبهم تفيض بالخوف والرجاء عند تذكيرهم بآياته، وأجسادهم تهوى إلى السجود اجلالا وتعظيما، في خضوع كامل لا يطلبون إلا رضاه. وألسنتهم تلهج بالحمد والتسبيح. وفي الليل، تتجافى جنوبهم عن الفرش، مستشعرة لذة القيام بين يدي الله، مترقبة ومتلهفة للقاءه في صلاة وذكر. كل هذا يجعلهم أكثر الناس جودا وعطاء. فقلوبهم التي ارتوت من معين القرآن لا تستطيع إلا أن تفيض بالخير، فتجدهم ينفقون مما رزقهم الله، بصدق وإخلاص، ابتغاء وجهه سبحانه وتعالى.

<sup>١</sup> السجدة ١٥-١٦



## قيام الليل وقوة القرآن

هذا هو السر الذي أوضحه الله لنبيه صلى الله عليه وسلم في سورة المزمل:  
{يَا أَيُّهَا الْمَزْمُلُ \* قُمْ أَلَيْلَ إِلَّا قَلِيلًا \* نُّصَفُهُ أَوْ أَنْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا \* أَوْ زِدْ عَلَيْهِ  
وَرَتِّلِ الْفُرْقَانَ تَرْتِيلًا \* إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا}¹.

في هذه الآيات، يوجه الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وسلم إلى الاستعداد لحمل أمانة الدعوة، فالدعوة إلى الله، ومواجهة الفتن، تحتاج إلى قلب ممتلئ بالنور، وتحتاج إلى زاد روحي متين. فكانت الدعوة واضحة وصريحة: التخلي عن الراحة والنوم، وإقامة الليل مرتلاً القرآن.

وقيام الليل هو الموطن الذي تتزود فيه الأرواح بهذا النور، حيث يكون العبد أقرب ما يكون إلى ربه، وحيث يتغلغل القرآن إلى أعماق القلب، فيحمله بقوة وثبات على طريق الهداية، حين تتشبع روحه بمعانيه، وتستنير بأحكامه، فتتأهب لتحمل القول الثقيل، رسالة السماء إلى الأرض.

## القرآن كنز لا يفنى

وفي وصف القرآن وأثره، يقول ابن الجوزي:  
(إن مواعظ القرآن تذيب الحديد، وللفهوم كل لحظة زجر جديد، وللقلوب  
النيرة كل يوم به عيد، غير أن الغافل يتلوه ولا يستفيد)².

هل شعرنا يوماً أن مواعظ القرآن أذابت قسوة قلوبنا؟

¹ المزمل ١-٥

² التبصرة لابن الجوزي

يقول الله تعالى: {لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ}¹.

إذا كان الجبل يتصدع من خشية الله حينما يتنزل عليه القرآن، فما بال قلوبنا لا تتأثر ولا تستجيب؟

ويواصل ابن الجوزي قائلا: (وللفهوم كل لحظة زجر جديد) فكلما رتلنا آياته، كلما فتحت لنا معاني جديدة، وزجرا لم نفقهه من قبل، فيتجدد الإيمان والمحبة والرهبة في قلوبنا.

(وللقلوب النيرة كل يوم به وعيد) فالقلوب التي أضاءها نور الإيمان هي التي تتفاعل مع كل آية ووعيد، ويغمرها شعور من السكينة والطمأنينة.

لكن، (غير أن الغافل يتلوها ولا يستفيد)، كيف لمن غفل قلبه أن يستنير؟ وكيف لمن أذهلته الدنيا عن تدبر آيات القرآن أن يجد الراحة في آياته؟ كيف له أن يهنأ من لا ينشغل بتدبره؟

### الطريق إلى الاستمداد من القرآن

إذا أردنا أن نستمد من القرآن القوة الروحية التي تعيننا على الطاعات والتزود بالإيمان، خاصة في رمضان، فلا بد أن يكون لنا منه زاد يومي، وأن نبني علاقة حقيقية معه. من خلال بعض الخطوات:

١. التدرج في التلاوة: نبدأ بورد يومي بسيط، ثم نزيده تدريجيا بما يتناسب مع قدراتنا، مما يعزز الروح ويمدها بالقوة. لنضمن استمراريته بعد رمضان.

٢. خلوات قرآنية قصيرة: نخصص خمسة دقائق من كل ساعة للتأمل في آية أو تدبر معنى، فنظل على صلة دائمة بالقرآن، ونروي عطش قلوبنا من ينابيع الوحي.
٣. الختمات المنتظمة: السعي المستمر لتحقيق ختمة شهرية، أو أكثر إن أمكن، لتعيش أرواحنا في صحبة القرآن والتغني به.
٤. الاستماع بتدبر: نعطي قلوبنا نصيبها من الاستماع بتدبر للقرآن، كما قال تعالى: {وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ}¹.

### ومضة

يقول ابن القيم رحمه الله: (إذا أردت الانتفاع بالقرآن فاجمع قلبك عند تلاوته وسماعه، وألقِ سمعك، واحضر حضور مَنْ يخاطبه به مَنْ تكلم به سبحانه منه إليه)².

فلنحرص على أن نكون من هؤلاء الذين يعيشون في معية القرآن، يسمعون بتدبر ويقرؤون بخشوع، لعلنا نكون من أهل الله وخاصته.

---

¹ الأعراف ٢٠٤

² الفوائد

## الإحسان في العبادة

يُقال إن الإحسان هو أن تضيف لمسة من الجمال إلى كل شيء تفعله، فهل هذا القول صحيح؟

وهل فكرنا يوماً في معنى الإحسان الحقيقي في عبادتنا؟

وكيف يمكننا أن نرتقي بعلاقتنا مع الله من خلاله؟

### الإحسان... حين يكون العمل خالصاً من القلب

جلست مسك تراقب ابنتها الصغيرة وهي ترتب فراشها بعناية، تضبط الوسائد في مكانها، وتسوي الغطاء بدقة. لم يكن ترتيب الفراش مجرد عمل روتيني بالنسبة للصغيرة، بل كان محاولة صادقة لإتقان العمل والإحسان فيه، محاولة لإرضاء قلب أمها والقرب منها. كانت الصغيرة تختلس النظر بين الحين والآخر لترى إن كانت أمها تراقبها، على أمل أن تظفر بنظرة استحسان وابتسامة رضا، وكأن تلك النظرة هي وسيلتها لتأكيد حبها واهتمامها.

ابتسمت مسك وقالت بحنان: "ما أجمل ترتيبك يا صغيرتي، لقد أتقنت العمل حقاً!"

توهج وجه الطفلة فرحاً، وأعطتها تلك الكلمات دفعة لمزيد من الإتقان، ليكون أكثر جمالاً وتألقاً.

### كم للإحسان من سحر أثر للنفوس!

فالإحسان يرتبط بالجمال، ويزهر به القلب، وينشر السكينة والفرح في النفوس. وإذا كان الإحسان في الأخلاق مفتاح القلوب، فإن الإحسان في العبادة هو مفتاح القرب من الله، والوسيلة للارتقاء في درجات محبته.

وإن كانت النية هي روح العبادة، فإن الإحسان هو جمالها وبهاؤها، وبها نستشعر حلاوة الإيمان.

لكن، هل توقفنا يوماً لتأمل: ما معنى الإحسان؟ وكيف نصل به إلى أعظم درجات القرب؟

### الإحسان.. جوهر العبادة

لو تأمنا في مفهوم الإحسان في التعاملات البشرية، لوجدناه يدور حول حسن المعاملة والعطاء والكرم. لكن حين ننظر إليه من المنظور الشرعي، نجد معنى

أعمق وأرقى بكثير، معنى يرتبط بتحقيق العبودية الحقيقية لله، والاستسلام له بحب وخشوع.

في حديث جبريل عليه السلام، حينما سأل النبي صلى الله عليه وسلم: (ما الإحسان؟) قَالَ: أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ<sup>١</sup>.

### أليس هذا هو حالنا مع من نحب؟

ألا نسعد بقربهم ونحرص على إسعادهم، ونقدم لهم أجمل ما لدينا ليشعروا بالسرور إذا نظروا إلينا؟

فحتى لو انشغلوا عنا، فإن مجرد شعورنا بوجودهم يجعلنا نهتم بكل التفاصيل التي تسعدهم.

فإن كان هذا حالنا مع أحبتنا من البشر، فكيف سيكون حالنا إذا كان المحبوب هو الله؟

كيف سيكون حالنا حين نستشعر أن الله يرانا، يسمع مناجاتنا، ويطلع على ما في قلوبنا؟

حينها، لن تصبح العبادة مجرد أفعال، بل ستكون لحظات تفيض حباً، وتزهو إقبالاً، وتثمر يقيناً وسكينة.

### الإحسان ومعية الله

حين نشعر أن الله معنا، تشتعل قلوبنا شوقاً إليه، فنسرع إلى الإحسان في كل عمل نقوم به، طمعاً في أن نكون من أهله وخاصته (اللهم أجعلنا منهم يا رب).

<sup>١</sup> رواه البخاري

ولو تأملنا في العبادات، لوجدنا أن الله سبحانه وتعالى لم يجعل طريق القرب منه محصورا في عبادة واحدة، بل فتح لنا أبوابا متعددة ومتنوعة، لنسلكها وفق ما يناسب أرواحنا ويتناغم مع قلوبنا.

ألا نرى كيف أنه جعل للجنة ثمانية أبواب، نتبع أثارها ونجاهد في السبل الموصلة إليها، لنصل إلى أعلى درجات الإحسان؟

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم:  
(مَنْ قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللَّهِ، وَابْنُ أُمِّتِهِ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، وَأَنَّ الْجَنَّةَ حَقٌّ، وَأَنَّ النَّارَ حَقٌّ، أَدْخَلَهُ اللَّهُ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةِ شَاءَ).<sup>١</sup>

ولم يكن هذا التنوع مقصورا على أبواب الجنة فقط، بل في العبادات الموصلة إليها أيضا، فلكل منا استراحته القلبية، التي تستريح فيها روحه إيمانيا. والنفس تقبل وتدبر وتحتاج كل فترة للتنويع بين وسائل القرب منه سبحانه.

- منا من يجد سكينه قلبه في تلاوة القرآن وتدبر آياته حينما تنساب معاني الآيات إلى قلوبنا، ونشعر وكأننا نتلقى رسالة خاصة من الله، نجد أرواحنا تحلق إلى السماء.
- ومنا من يحلق بالدعاء والمناجاة حينما نبث له سبحانه همومنا وأمانينا، ونستشعر سكينه قربه، فنوقن أنه يسمع ويرى.
- ومنا من يرتقي بالسجود الطويل في سكون الليل حيث تنسكب الأرواح بين يديه سبحانه، فتبوح له بكل ما تحويه القلوب، في خضوع وانكسار.

<sup>١</sup> رواه مسلم

- ومنا من يجد الإحسان في إدخال السرور على المحتاجين  
حين نُطعم الطعام، أو نبث الأمل في قلب مكروب، أو نزرع البهجة  
بكلمات طيبة.

كل هذه أبواب مفتوحة للإحسان، وهناك غيرها الكثير، نتنقل بينها حسب  
احتياج قلوبنا.

ولا يشترط أن نأتي بها جميعا بنفس الدرجة، بل نسدد ونقارب، ونجتهد في  
العبادة التي نجد فيها أعظم أثر على أرواحنا، حتى نصل بها إلى مقام  
الإحسان.

### فلننصت لهمسات قلوبنا

إذا لم نكتشف بعد العبادة التي تتناغم مع قلوبنا، فإن رمضان فرصة ذهبية  
للبحث عنها!  
فلنغتنمها، ولنجعل الإحسان شعار كل عبادة نقوم بها، حتى نصل إلى حلاوة  
القرب، ونعيم الطاعة.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:  
(إن الله كتب الإحسان على كل شيء)<sup>١</sup>.

وهذا يشمل عباداتنا، وأخلاقنا، وأعمالنا، وحتى أدق تفاصيل حياتنا.  
فالإحسان ليس مجرد مرتبة إيمانية عليا، بل هو أسلوب حياة، يجعلنا نعيش  
في معية الله، في كل لحظة، ومع كل خطوة.

---

<sup>١</sup> رواه مسلم



### ومضة

ذا سألتكم الله، فاسألوه أن يبلغكم مقام الإحسان، ففيه روح العبودية، وبه  
يكتمل الجمال، ويزهر الإيمان في القلوب

## هم درجات عند الله

في حياتنا سباق لا ينتهي، لكنه ليس نحو المال أو الشهرة، بل نحو رضا الله ومراتب القرب منه. درجات تتفاوت بين الإحسان والغفلة، وبين قلب يطمح للعلو في منازل الجنة وآخر ينحدر في دركات الغفلة.

فهل توقفنا يوماً لنسأل أنفسنا:

في أي درجة نحن؟

وهل نسعى بصدق للترقي تحت ظل عرش الرحمن؟

## لعبة الترقى... قلوب تتنافس في حب القرآن

ارتفعت أصوات الفتيات في فرح وحماس، شوقاً إلى لعبة الترقى، حيث يتسابقن فيها لسرد آيات الله في جو من الحب والمتعة والسكينة.

وقفت الفتيات في صف واحد، كل واحدة تستعد لترتيل سورتها بصوتها العذب. ومع كل آية تتلوها إحداهن، كانت تخطو خطوة إلى الأمام، حتى تنهي السورة وهي تحمد الله على توفيقه. وإذا ما تعثرت إحداهن، كانت تتوقف مكانها، تشعر بالحزن لتوقفها عن الترقى، لكنها تعود إلى مجلسها بعزم جديد، لتثبت آياتها وتعيد المحاولة.

كان المكان مليئاً بأصوات الترتيل العذبة التي تعلو بحب ووقار، ممزوجة بابتسامات الفتيات وتعبيرات الحماس التي تضيء وجوههن.

كانت إحداهن تداعب الأخرى بلطف قائلة:

"سراكِ تتقدمين أكثر في المرة القادمة!"

فتتجدد العزيمة في القلوب.

كان شعارهن قول رسول الله صلى الله عليه وسلم:

(يقالُ لصاحبِ القرآنِ اقرأِ وارْتَقِ ورتِّل كما كنتَ ترتِّل في الدُّنيا فإنَّ منزلَكَ عندَ آخرِ آيةٍ تقرُّوها)<sup>١</sup>

فما أعظم هذا الشعار!

شعار يعكس الترقى في الدرجات بفضل إتقان العبادة، وهنَّ يحلمن بأن يكرمهن الله يوم القيامة بمرتبة "اقرئي وارْتقي"، مرتبة تعكس محبتهن للقرآن وتعلقهن بكلماته.

---

<sup>١</sup> رواه أبي داوود في صحيحه

## فماذا عنا نحن؟

هل نسعى للترقي في الدرجات لنكون في ظل عرش الرحمن يوم القيامة؟  
أم أننا منشغلون بغفلة الدنيا وفتنتها التي تحيط بنا؟

يقول الله تعالى:

{أَقْمِنِ أَتَّبِعَ رِضْوَنَ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطِ مَنْ اللَّهِ وَمَأْوَهُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ  
\* هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ بِصِيرٍ مَّا يَعْمَلُونَ}¹.

ألا ترانا نعيش سباقا حقيقيا؟

سباق بين تحقيق العبودية والفوز برضا الله، وبين الغرق في المعاصي التي  
تؤدي إلى سخطه؟

وبين هذين المسارين تتفاوت درجات العباد، فمنهم من يرتقي في درجات  
العبودية ومنازل القرب من الله، ومنهم من ينحدر إلى مراتب الغفلة، نسأل  
الله العفو والعافية.

## اختلاف النوايا.. درجات متباينة عند الله

لنتأمل في الدرجات المختلفة للنوايا والعمل من خلال مثال طلاب كلية الطب:

١. طالب يدرس ليُظهر عظمة الله في خلقه، فيكون سببا لتعظيم الناس  
لله وزيادة عبوديتهم له.
٢. طالب يدرس ليداوي الجراح، قاصدا تسهيل طاعة العباد لربهم،  
فيكون معينا في قيامهم على شؤون أسرهم، مستلهما قول النبي صلى  
الله عليه وسلم: (كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته)².

¹ آل عمران ١٦٢ - ١٦٣

² رواه البخاري

٣. طالب يحب مساعدة المحتاجين، فيجعل ذلك طريقا للتقرب إلى الله.

٤. طالب يدرس بحثا عن الاستقرار المالي، لكنه يغفل عن إخلاص النية لله.

٥. طالب يدرس لتحقيق شهرة أو جمع المال بأي وسيلة، دون اعتبار للأهداف السامية.

تباين النوايا، وتختلف الدرجات، وكل قلب يحمل ما يحدد علاقته بالله.

- فهل تأملنا يوما في حالنا؟
- هل تفكرنا في أي درجة نحن عند الله؟
- وإلى أي مكانة ومنزلة نسير؟

**هلا اغتنمنا رمضان كموسم للترقي؟**

رمضان فرصة عظيمة للترقي في الدرجات، فهو شهر تضاعف فيه الحسنات، وتُفتح فيه أبواب الجنة.

فلنجدد العزم على الترقى في درجات العبودية، سواء بـ:

- التلاوة
- الدعاء
- الصدقة
- الاحسان إلى الناس.

وأيا كان حالنا وأيا كانت درجتنا، فما زال هناك مجال للعودة!

لنتنعم بعبودية الله في الدنيا، ونرتقي في درجات الجنة في الآخرة.

ولنحرص على اتباع هدي النبي صلى الله عليه وسلم، فإنه على قدر اجتهادنا يكون ترقينا في الدرجات.

## ومضة

درجتنا عند الله لا تُقاس بما نصل إليه من نتائج، بل بما نبذله من جهد وإخلاص في المحاولة.

أسأله سبحانه أن يعيننا على ذكره وشكره وحسن عبادته.

## التوفيق من الله

في أحد أيام رمضان، جلست مسك تحاول كتابة تأملاتها. كانت الأفكار تتدفق في ذهنها، لكن شيئاً بسيطاً وغير متوقع أوقفها. توقفت في صمت، تتأمل تلك اللحظة التي بدت عابرة لكنها حملت درساً عميقاً:

حتى أبسط الأمور لا تتحقق إلا بتوفيق الله.

فما بالناس بالعبادة والقرب منه؟ في كل خطوة نخطوها نحوه، هناك بركات عظيمة تنتظرنا، لكن البداية دائماً تحتاج إلى مفتاح:

طلب التوفيق منه سبحانه،

فكيف نطلبه؟

## حتى القلم لا يكتب إلا بتوفيق الله

في أحد أيام رمضان، جلست مسك إلى مكتبها بعد صلاة العصر، تستعد لإكمال وردها من تلاوة القرآن. كانت الأيام تمر سريعاً، وهي تجتهد في اغتنام كل لحظة للتقرب إلى الله بالطاعات. أنهت تلاوتها، ثم أمسكت بقلمها المفضل لتدوّن بعض تأملاتها.

وضعت القلم على الورقة لتكتب أول الكلمات، لكنها لاحظت أن القلم لا يكتب. حاولت مراراً، ضغطت على الورقة، رجّت القلم، لكن بلا جدوى. نفذ الحبر.

ابتسمت أختها التي كانت تراقبها وقالت:  
"ربما هذه إشارة لتتفكري قليلاً."

ضحكت مسك وأجابت:  
"الأمر بسيط، سأبدل القلم فقط."

أخرجت قلمًا جديدًا من درج مكتبها، وبدأت في الكتابة. لكن المفاجأة أن القلم الجديد انكسر بعد دقائق. شعرت بالضيق، لكنها تمتمت لنفسها:  
"لا بأس، لدي المزيد من الأقلام."

بدأت تبحث عن قلم آخر، لكنها لم تجد أي قلم صالح في المنزل بأكمله. حتى أختها لم تستطع مساعدتها؛ فقد نفذت الأقلام جميعها.

جلست مسك تتأمل القلم المعطل بين يديها، ثم شعرت بشيء عميق يخترق قلبها. همست لنفسها:



"حتى الكتابة، التي أظنها من أبسط الأمور، لا يمكنني القيام بها دون عون الله. فكيف بالعبادات وتحقيق الصيام على أكمل وجه، دون توفيق منه سبحانه؟"

في تلك اللحظة، رفعت يديها إلى السماء وقالت:  
"يا رب، إن كان حتى القلم الذي أكتب به يحتاج إلى توفيقك، فكيف بصيامي وقيامي في هذا الشهر الفضيل؟ اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك، فأنا أمتك الضعيفة."

وهكذا تعلمت مسك درسا لن تنساه أبداً:  
أن العبادة، مثل كل شيء في الحياة، تحتاج إلى توفيق الله، وأنا بدونك لا فملك من أمرنا شيئاً.

#### التوفيق: مفتاح القرب من الله

لكل منا أحلام وأمنيات نود لو نبلغ بها سماء الإيمان، ولكن الأماني وحدها لا تكفي، هناك ما هو أعظم وأعمق:  
إرادة صادقة وعزم قوي على العمل.  
حينها يمنحنا الله مفتاح تحقيق الأمنيات.

يقول الفضيل بن عياض:  
(إنما يريد الله عز وجل منك نيتك وإرادتك)<sup>١</sup>.

فالأمر يبدأ من القلب، بنية صادقة تتبعها عزيمة خالصة لله.  
ومع ذلك، فإن النية وحدها لا تكفي؛ فهي تحتاج إلى التوفيق من الله، ذلك المفتاح الذي يفتح لنا أبواب القرب منه سبحانه.

---

<sup>١</sup> جامع العلوم والحكم

ألا نرى أن بعض الأعمال التي تبدو بسيطة وميسرة قد نشعر أحيانا بثقل في أدائها؟

- لماذا نجد صعوبة في الذكر رغم سهولته؟

- لماذا نشعر أحيانا بالفتور في الدعاء؟

يقول الشيخ ابن عثيمين:

(حتى تتيقن أن المسألة مسألة توفيق، انظر إلى الذكر، فهو من أسهل الطاعات، لكن لا يُوفق له إلا القليل).<sup>١</sup>

حتى تحريك اللسان بذكر الله، ذلك العمل الذي يبدو في غاية البساطة، قد يُصبح شاقا إن لم يوفقنا الله إليه.

لذلك نحتاج دائما إلى الاستعانة بالله وممارسة عبودية الافتقار إليه، واستشعار حاجتنا إلى حوله وقوته في كل عمل نقوم به.

### رمضان: شهر التوفيق

ألا نتعجب؟ كيف نجد في أنفسنا قدرة على صيام ساعات طويلة من اليوم، والقيام في الليل رغم التعب، وربما ختمنا القرآن عدة مرات؟ وكل هذا لم يكن تفوقا منا ولا بقوتنا، بل كان بافتقارنا إلى الله وتوفيقه، الذي سهل علينا عبادتنا وأعاننا عليها.

لذا نجد النبي صلى الله عليه وسلم يعلمنا أن نطلب ذلك التوفيق دائما، فقد أوصى معاذ بن جبل أن يقول في دبر كل صلاة:  
(اللهم أعني على ذكرك، وشكرك، وحسن عبادتك)<sup>٢</sup>.

<sup>١</sup> تفسير ابن عثيمين

<sup>٢</sup> المستدرك على الصحيحين

إن التوفيق هو أن نجد أنفسنا قادرين على أداء العبادات بكل يسر، وقد امتلأت قلوبنا بالسعادة بعدما عرفنا سر القرب منه سبحانه في كل خطوة نخطها نحوه.

### خطوات صغيرة... قرب عظيم

حينما نتأمل في الحديث القدسي:  
(إن تقرب إلي بشبر تقربت إليه ذراعا، وإن تقرب إلي ذراعا تقربت إليه باعا، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة)<sup>١</sup>.

ألا تشعرون بعظمة هذا الوعد؟  
مجرد خطوة صغيرة نخطوها نحو الله، مجرد نية صادقة أو ذكر خفي، تقربنا منه سبحانه وتعالى أكثر مما نتخيل.

هذه البداية، مهما كانت بسيطة، تفتح لنا أبوابا عظيمة من التوفيق، وتغمر قلوبنا بالقرب منه سبحانه.

يقول ابن القيم:  
(وقال شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه: تأملت أنفع الدعاء فإذا هو سؤال العون على مرضاته، ثم رأيت في الفاتحة في إياك نعبد وإياك نستعين)<sup>٢</sup>.  
هكذا كان السلف الصالح، يبدؤون كل عمل صغير أو كبير بطلب العون من الله، لأنهم يعلمون يقينا أن التوفيق في كل شيء لا يأتي إلا بتوفيق الله ورعايته.

---

<sup>١</sup> رواه البخاري

<sup>٢</sup> مدارج السالكين

## القرب من الله في كل خطوة

القرب من الله ليس فقط في العبادات العظيمة، بل في كل خطوة صغيرة نخطوها نحوه.

إنه رحلة تبدأ بنية خالصة، بدعاء صادق، ثم تأتي الأعمال التي تروي قلوبنا حبا لله واشتياقا لقربه.

وفي رمضان، يزداد هذا القرب، حيث أن هذا الشهر الفصيل هو فرصة عظيمة لتتقرب أكثر من الله ونشعر بمعيته في كل لحظة.

ما أجمل أن نعيش رمضان ونحن نعلم يقينا أن الله معنا، يقربنا في كل لحظة إليه وييسر لنا عبادته.

وكلما تقدمنا خطوة، يقرب إلينا بخطوات أسرع وأكبر.

## ومضة

لنبدأ الآن، ولنصفي نياتنا، ولنجعل قلوبنا مليئة بالإخلاص، ولتكن أعمالنا شهادة على حبا لله. فهو سبحانه الذي لا يرد من طرق بابه.

## اشدد به أزمي

في رحلة الإيمان، كثيرا ما نشعر بأننا بحاجة إلى من يمسك بيدنا ويُقوِّي  
عزيمتنا، خاصة في مواسم الخير كشهر رمضان. نبحث عن صحبة تُذكرنا  
بالهدف الأسمى وتشحذ هممنا.

لكن، هل القوة في الصحبة فقط، أم أن بدايتها الحقيقية تنبع من مكان آخر  
نغفل عنه؟

## بين الشوق والصحة

بينما كانت مسك تتأمل في السماء مسترجعة ذكرياتها الدافئة مع رفيقاتها في رمضان، رن هاتفها. كان الاتصال من علياء، صديقتها التي سافرت بعيدا. تبادلتا التحية والسلام، ثم بادرت مسك بالسؤال عن استعدادها لرمضان، فإذا بعلياء تبوح بصوت يغلبه الحزن:

"لا أستطيع فعل شيء وحدي ... بدونكم، يبدو الأمر أصعب بكثير."

كثيرا ما نعتقد أن العبادة، خاصة في رمضان، تحتاج إلى صحة تشجعنا وتدفعنا على الطريق. لكننا نغفل حقيقة أعمق:

- ظمأ الروح ولهفتها للقرب من الله لا يمكن أن تأتي إلا من داخلنا.
- إنه دافع يتأجج في أعماق القلب، لا تُوقده الصحة وحدها، بل يبدأ منا.

تلك العادات التي تأسرننا، والفتن التي تغرقنا في الدنيا، والعوائق التي تثقل خطواتنا نحو الله... نحن وحدنا من يملك مفاتيح فك قيودها.

فهل جلسنا يوما مع أنفسنا في حوار صادق؟

- هل حاولنا أن نغوص في أعماق قلوبنا لنكتشف ما الذي يعيقنا عن القرب منه سبحانه؟
- ما الذي يسرق إرادتنا ويضعف عزيمتنا؟
- وما الذي يمنع أرواحنا من التحليق في سماء الإيمان، لتذوق حلاوة العبادة ولذة القرب من الله؟

## هجر العوائد وقطع العلائق

يقول ابن القيم، طبيب القلوب، في مقولة موجزة بليغة:  
(الوصول إلى المطلوب موقوف على هجر العوائد وقطع العلائق وتذليل  
العوائق)<sup>١</sup>.

في هذه الكلمات يكمن المفتاح.  
فهل نحن مستعدون لهجر العادات التي باتت حاجزا بيننا وبين القرب من  
الله؟

- تلك العادات التي اعتادتها أرواحنا وألفتها نفوسنا، حتى صار تركها  
أشبه بالمستحيل؟

وهل لدينا العزيمة لقطع العلائق التي علّقت قلوبنا بزينة الحياة الدنيا،  
فملأتها بالملذات والشهوات؟  
فلن نجد للقلب فسحة ليُعمّر بحب الله إن لم نطهره مما سواه.

وماذا عن العوائق؟  
تلك التي تقطع الطريق على أرواحنا بالتقصير والتفريط، وتحول بينها وبين  
السير إلى الله.

- السبيل الوحيد لتذليلها في تجديد التوحيد وتعظيم الله، بالتوبة  
الصادقة والمداومة على الاستغفار.

- ورغم ما تحمله هذه العوائق من مشقة، فإن التسلح بالعلم والبصيرة  
هو السلاح الذي يذلها ويزيلها.

---

<sup>١</sup> الفوائد لابن القيم

## الصحبة... قوة تُشدُّ بها الأزر

هنا فقط، حين نفهم دورنا الفردي في مواجهة العادات، وقطع العلائق، وتذليل العوائق، ندرك المعنى الحقيقي لعبوديتنا لله.

وعندما تتفتح قلوبنا على هذا الفهم، تصبح الصحبة الصالحة عوناً لا غنى عنه، تماماً كما أدرك نبي الله موسى عليه السلام، عندما دعا الله قائلاً:

{رَبِّ أَشْرَحْ لِي صَدْرِي \* وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي \* وَأَحْلِلْ عُقْدَةً مِّنْ لِّسَانِي \* يَفْقَهُوا قَوْلِي \* وَاجْعَلْ لِّي وَزِيْرًا مِّنْ أَهْلِي \* هَارُونَ أَخِي \* اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي \* وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي \* كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا \* وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا<sup>١</sup>}.  
في أمرى \* كى نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا \* وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا<sup>١</sup>.

- موسى عليه السلام لم يكن ضعيفاً لِيحتاج لأخيه، بل كان نبياً اصطفاه الله بقوة الرسالة وأمانتها.
- ولم يكن عاجزاً لِيَعتمد على غيره، فقد أيده الله بمعجزات وبصيرة فريدة.

لكنه أدرك قيمة الصحبة الصادقة، وطلب من الله أن يعينه بأخيه ليزيده قوة إلى قوته، وسندا إلى عزمته، في مواجهة أعباء الدعوة وتحقيق مقاصد العبودية لله.

وهنا يكمن سرنا في رمضان، حيث نحتاج إلى صحبة تُعيننا، تقوينا، وتشدُّ من أزرنا.

- رمضان ليس مجرد شهر عبادة، بل أكبر محطة نتزود منها بالإيمان على مدار العام.

<sup>١</sup> طه ٢٥ - ٣٠



- صحبة تحفزنا على ذكر الله كثيرا وتسبيحه دائما.
- صحبة تشاركنا المسابقة في الخيرات، مستهدين بقوله تعالى: {فاستبقوا الخيرات}¹.

نحتاج إلى قلوب تحمل نفس الشوق إلى رمضان،  
قلوب تبحث عن ربيع الإيمان،  
وتفتش عن الراحة والسكينة بين نفحاته.

صحبة تُعيد لنا نبض الروح، وتُذكّرنا بأن رحلة القرب من الله تُصبح أجمل  
حينما نمضي فيها مع من يُعيننا عليها.

### ومضة

الصحبة الصالحة ليست سبيلنا الوحيد للتقرب إلى الله؛ فالقرب الحقيقي  
ينبع أولا من أعماقنا، لكن الصحبة تزيدنا قوة، تُحفزنا، وترفع هممتنا، لنصل  
إلى مقامات أعلى من القرب والمحبة لله سبحانه وتعالى.

---

¹ البقرة ١٤٨

## التخطيط

حين يقترب رمضان، يشتعل الحماس في قلوبنا، ونتسابق إلى وضع الخطط  
لرحلة روحانية مميزة، تفيض بالعبادة والقرب من الله. ولكن...

لماذا يخبو هذا الحماس سريعاً في منتصف الطريق؟

ما السر الذي يجعل لذة العبادة تدوم، فتظل قلوبنا عامرة بالشغف حتى  
آخر ليلة من رمضان؟

وكيف نخطط لرمضان بطريقة تعيد لأرواحنا الحياة، وتملاً ليالينا بنور  
الوصال مع الله سبحانه وتعالى؟

## البحث عن الجدول المثالي

اقترب رمضان، وبدأت القلوب تشتعل شوقاً كشمعة تنتظر أن تضيء ليالي الإيمان. اجتمعت الفتيات، وكل واحدة منهن تبحث عن "جدول العبادات المثالي"؛ جدول يعدهن برحلة عامرة بالطاعات، مليئة بالخيرات والكنوز والأجور العظيمة: صلوات، نوافل، أذكار، ختمات القرآن، وصدقات.

كانت تلك اللحظات تُشبه البحث عن جوهرة نادرة، وكل واحدة تأمل أن تجد الجدول الذي يلامس طموحاتها الإيمانية ويشبع جوع قلبها. وما إن عثرن عليه، حتى شعرت كل منهن وكأنها أمسكت بيدها كنزاً لا يُقدر بثمن. امتلأت القلوب فرحاً، وبدأن المنافسة بحماس.

ومع انطلاق الأيام الأولى من رمضان، بدأت الأحاديث تتألق بإنجازاتهم:

١. "ختمتُ جزءين اليوم!"

٢. "وأنا صمت عن كل ما لا يفيد، وداومت على ورد الذكر!"

كان الجدول أشبه بمنارة تهديهن الطريق، وكانت المنافسة ملهمة كماراثون إيماني يضيء أرواحهن. يوم، اثنان، ثلاثة، عشرة ... ومع مرور الأيام، بدأ الضوء يخفت تدريجياً. لم تعد المنافسة كمان كانت، ولم يعد الجدول يلفت الأنظار كما كان في البداية.

بدأت أصوات التألق تغيب، وراحت الإنجازات تتضاءل شيئاً فشيئاً، حتى غمر الصمت مجالسهن. انعكس ذلك على أرواحهن التي كانت متوقدة..

## سر الفتور

أليس هذا ما يحدث مع الكثير منا؟ نبدأ بحماس جارف، متطلعين إلى رحلة روحانية مميزة، ثم يخبو هذا الحماس تدريجيا، حتى تتحول العبادة من شوق وحب إلى عبء ثقیل على القلوب.

هل تساءلنا يوما:

- لماذا تفتر أرواحنا؟
- لماذا لم تعد قلوبنا تتأثر بتلاوة القرآن؟
- لماذا فقدنا الشوق للوقوف بين يدي الله نناجيه؟
- ولماذا أصبحت الطاعات، التي كنا نتوق إليها، مصدرا للثقل والحزن؟

تلك الأسئلة كثيرا ما نتجاهلها، أو نخشى مواجهتها. ومع ذلك، يكمن السر في الطريقة التي ندير بها عباداتنا. عندما نلزم أنفسنا بجداول لا تراعي طاقتنا الإيمانية، ونجبرها على الالتزام بعبادات فوق ما تطيقه، يتحول الحماس إلى فتور. نُرهق أرواحنا، ونفقد الشغف، ثم نبدأ بجلد ذواتنا، معتقدين أننا مذبنون، غافلين عن أن المشكلة قد تكون في التخطيط ذاته، لا في أنفسنا!

وهكذا، تنقلب العبادة من متعة للقلب إلى عبء ثقیل على الروح، فتتلاشى السكينة، ونفقد حلاوة الوصال مع الله.

## التخطيط بوعي.. كيف نخطط لقلوبنا؟

لقد انشغلنا بجمال العبادات وجاذبية الأجور المترتبة عليها، فركضنا خلف الجداول المنتشرة المليئة بالإنجازات، متجاهلين أرواحنا وما يغذيها ويحقق لها السكينة. تلك الجداول، على الرغم من جاذبيتها، لا تراعي اختلاف درجات الإيمان بين الناس.

نسبنا أن نسأل أنفسنا:

- هل هذا الجدول يناسب حالتنا الإيمانية؟
- هل يتماشى مع طاقتنا الروحية وقدرتنا على الإنجاز؟

الله سبحانه وتعالى خلقنا متفاوتين في درجات الإيمان وفي احتياجات القلوب، فما يصلح لشخص قد لا يناسب آخر. ولهذا، فإن أول خطوة نحو تخطيط جدول عبادة ينبض بالحياة هي أن نفهم أنفسنا جيدا. علينا أن نضع جدولا خاصا بنا، يتناسب مع حالتنا الإيمانية الحالية، يروي عطش أرواحنا، ويتدرج بنا نحو العمق الروحي دون أن يثقل علينا.

ولكي نبدأ بشكل صحيح، نحتاج المرور مجددا على مقالة "ليزدادوا إيماناً" حيث تعلمنا أن زيادة الإيمان تكون بتحقيق سكينة القلب، وأيضا على مقالة "تفقد قلبك" التي وجهتنا لفهم موضعنا الحالي والنقطة التي نحتاج أن ننطلق منها. من هنا، يمكننا أن نصوغ جدولا يتناغم مع قلوبنا، نبدأ فيه بما تطيق وما اعتادت عليه نفوسنا، ثم نتدرج شيئا فشيئا في الطاعات. هكذا، تزهر السكينة في قلوبنا ونروي أرواحنا، فتحيا من جديد في وصال صادق مع الله.

### التدرج.. طريق المحبين

لقد أرشد النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه دائما إلى التوازن في العبادة، دون إفراط يُنهك النفس أو تفريط يُضعف الإيمان.

تروي أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها:

(أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَخَلَ عَلَيْهَا وَعِنْدَهَا امْرَأَةٌ، قَالَ: مَنْ هَذِهِ؟ قَالَتْ: فُلَانَةٌ، تَذْكُرُ مِنْ صَلَاتِهَا، قَالَ: مَهْ، عَلَيْكُمْ بِمَا تُطِيقُونَ، فَوَاللَّهِ لَا يَمَلُّ اللَّهُ حَتَّى تَمَلُّوا وَكَانَ أَحَبَّ الدِّينِ إِلَيْهِ مَا دَامَ عَلَيْهِ صَاحِبُهُ).<sup>١</sup>

---

<sup>١</sup> رواه البخاري

لنتأمل هذا الحديث! امرأة اجتهدت في صلاتها حتى أنها (في رواية أخرى) استعانت بحبل تتعلق به من شدة التعب. أعجبت عائشة رضي الله عنها بإصرار المرأة وأثنت عليها، لكن النبي صلى الله عليه وسلم نهاها عن مدحها قائلاً: "مه" أي توقف.

لماذا؟ لأن العبادة ليست سباقاً ينهك الجسد، بل رحلة تستلذ بها الروح.

النبي صلى الله عليه وسلم بيّن لنا أن العبادة يجب أن تكون على قدر ما تطيقه النفس وتقبل عليه الروح. فالله سبحانه وتعالى لا يمل من الثواب حتى يمل العبد من العمل، وهنا ينقطع الثواب. فالعبادة ليست عبئاً يثقل القلوب، بل هي راحة وسكينة، ووصال بين العبد وربّه.

كما قال النبي صلى الله عليه وسلم:

(إن الدين يسر، ولن يشادّ الدين أحد إلا غلبه، فسددوا وقاربوا وأبشروا، واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة)<sup>١</sup>.

ديننا الحنيف قائم على اليسر في كل شيء: في العقيدة، والأحكام، والعبادات، والمعاملات. إذا ما شددنا على أنفسنا، سنجد أن التعب يباغتنا فجأة، كما يحدث مع الحبل الذي نجذبه بقوة ثم ينقطع فجأة؛ ففي البداية يكون الحبل متماسكاً مهما كانت قوة الجذب، ثم مع استمرار الجذب يضعف وينقطع. هكذا هي أرواحنا ما شددنا عليها، تفتر وتنكسر.

فلنسدد ونقارب، ولننتذكر دائماً أن العبرة ليست في كثرة الأعمال، بل في تحقيق السكينة وزيادة الإيمان باستمرار.

<sup>١</sup> رواه البخاري ومسلم

## ختاماً

في رمضان، لنخطط بوعي وحب لأنفسنا، مستلهمين من احتياجات قلوبنا ما يُحييها ويغذي أرواحنا. لنجعل العبادة تتسلل إلى يومنا برفق، لا عبئاً يثقل كاهلنا.

عندها، سنجد لذة العبادة تُقربنا من الله، وتُشعل شوق قلوبنا للمزيد دون الحاجة لأي جدول خارجي. فقلوبنا، حين تهتدي وتتناغم في وصالها مع خالقها، تصبح هي الدليل والطريق.

## ومضة

الفرق بين مجاهدة النفس والإثقال عليها كالفرق بين سقيا الزرع بقدر حاجته، وإغراقه بالماء حتى يتلف.

فمجاهدة النفس هي أن ندفعها برفق نحو الزيادة في الطاعات، ونُعوّدها على القيام بما لم تعتد عليه، فترتقي بها خطوة بخطوة. أما الإثقال عليها فهو تحميلها ما لا تطيق، فتضيق وتنفر.

## أنسب أوقات العبادة

في كل يوم، تهب علينا نسائم من الفرص الجديدة تقربنا من الله، لكن القليل منا يدرك سر اللحظات التي تفيض بالبركة والسكينة.

هل تساءلت يوماً:

متى تكون أقرب إلى الله؟

ومتى تتفتح أبواب الرحمة والقبول؟

في حديث نبوي شريف، يكشف لنا النبي صلى الله عليه وسلم مفتاح هذه اللحظات، ليرشدنا إلى علاقة أعمق بالعبادة وأثر يبقى في القلوب طويلاً...



## لحظة إدراك

لم تكن مسك كعادتها هذا العام في رمضان... بين زحمة الحياة وأعباء المنزل، حاولت أن تلتزم ببرنامج عبادة مكثف أعدته سابقاً. لكنها سرعان ما شعرت بالإرهاق. وكأن الطاعات، التي كانت يوماً ملاذاً لروحها، أصبحت عبئاً ثقيلاً على قلبها.

وفي ليلة هادئة، جلست تتأمل وجه القمر المتربع في السماء، وقد امتلأ قلبها بهمٍّ ثقیل. رفعت يدها بدعاء خافت:  
"يا الله، أرني الطريق الذي يرضيك ويعينني."

فجأة، تذكرت حديث النبي صلى الله عليه وسلم:  
(استعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة)<sup>١</sup>

ترددت الكلمات في ذهنها، وكأنها أضاءت زاوية مظلمة في قلبها. شعرت أن هذا الحديث لم يكن مجرد كلمات، بل توجيه نبوي يحمل رسالة واضحة: العبادة رحلة هادئة، لا سباق مرهق.

في صباح اليوم التالي، قررت مسك أن تعيد ترتيب حياتها وفق الهدى النبوي. قسمت وقتها بحكمة:

- الغدوة: تبدأ يومها بذكر الله وصلاة الفجر، مستمتعة بلحظات الصباح الهادئة قبل أن تنشغل بأعباء الحياة.
- الروحة: تتوقف بعد صلاة العصر، تجلس مع القرآن بهدوء، بلا ضغط أو استعجال، كأنها تغسل قلبها وتروي روحها من جديد.
- الدلجة: تستيقظ في وقت السحر لتصلي ركعتين، تبوح فيهما لله بكل ما يُثقل روحها، وتترك همومها بين يديه سبحانه.

<sup>١</sup> رواه البخاري

## سر هذه الأوقات الثلاثة

حين نتأمل هذه الأوقات، ندرك الحكمة العظيمة في اختيار النبي صلى الله عليه وسلم لها، وفي الحث على اغتنامها. كل وقت يحمل بين طياته سرا عظيما، يفيض بالسكينة والقرب من الله:

### ١. الغدوة: طاقة اليوم الإيمانية

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

(بورك لأمتي في بكورها)<sup>١</sup>.

الغدوة هي الساعات الأولى من اليوم، من الفجر حتى طلوع الشمس. لحظات يغمرها السكون، وكأن الكون كله يتنفس طمأنينة. في هذا الوقت، نجد غذاء أرواحنا في أذكار الصباح وترتيل بعض الآيات، فتنعكس السكينة على قلوبنا، وتنشرح صدورنا، ونستقبل اليوم بطاقة إيمانية تعيننا على المسئوليات. إنها الساعات التي تُرفع فيها الأعمال إلى السماء وتتنزل فيها البركة.

فما أعظم أن نبدأ يومنا وقد ملأت أرواحنا بهذا الزاد الإيماني!

### ٢. الروحة: وقفة لمراجعة الروح

بعد العصر، حيث تهدأ مشاغل الحياة وتبدأ الشمس بالغروب، وتتلهف فيه القلوب لخلوة صادقة مع الله. يكون الوقت مثاليا لمحاسبة النفس، ومراجعة اليوم:

- هل أدينا حق الله كما يليق؟
- هل قصّرنا في حقوق قلوبنا وأنفسنا وجوارحنا؟
- وماذا عن أهلنا وأسرتنا؟

---

<sup>١</sup> صحيح الجامع

ثم نظهر أرواحنا بالتوبة والاستغفار، مستحضرين قوله صلى الله عليه وسلم:

(يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر، ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم وهو أعلم بهم: كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: تركناهم وهم يُصلون وأتيناهم وهم يصلون).<sup>١</sup>

فما أجمل أن تُختم صحائفنا في كل يوم ونحن في ذكر وعبادة!

### ٣. الدلجة: لذة المناجاة في السحر

يقول صلى الله عليه وسلم:

(ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر يقول: من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له).<sup>٢</sup>

في تلك اللحظات، ينام الجميع، ويبقى القليل ممن ناداهم الشوق إلى ربهم، يتركون دفء الفراش ليناجوه بخشوع، ويثبثونه شكواهم وأمانيتهم. إنها لحظات تتجلى فيها الرحمة الإلهية، فينهمر الفيض الرباني على القلوب، ويُجاب فيها الدعاء، وتُمحى الذنوب، ويُكتب للروح ميلاد جديد.

إنها لحظات تمتلئ فيها القلوب بنور القرب من الله، نور ينعكس على الجوارح، كما قال تعالى:

{سَيَمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ}<sup>٣</sup>

<sup>١</sup> رواه البخاري

<sup>٢</sup> رواه البخاري

<sup>٣</sup> الفتح ٢٩

(قال السدي: الصلاة تحسن وجوههم،  
وقال بعض السلف: من كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار).<sup>١</sup>

### العبادة... رحلة لا تنقطع

لقد كان لاختيار هذه الأوقات أثر عظيم على النفس، وكأنها محطات تجدد الروح وتغسل القلب، ولعله من أعظم النعم أن يرشدنا النبي صلى الله عليه وسلم إليها.

- فإن تيسر لنا اغتنامها جميعا، فلنبذل كل جهدنا في ذلك.
- وإن لم نستطع، فلنأخذ منها ما استطعنا، ولا نتنازل أبدا عن لحظات نحيا بها قلوبنا، ونجدد فيها صلتنا بالله، فما زالت هذه النعم العظيمة بانتظار من يمد يده إليها.

### ومضة

الحياة محطات، وأجملها تلك التي نقف فيها بين يدي الله، نستمد منها نوراً يعيننا على الطريق.

ليست الأوقات الثلاثة مجرد لحظات عابرة في اليوم، بل هي جسر يصل قلوبنا بالسماء، ودليل لمن يبحث عن السكينة في زحمة الحياة. فلنغتنمها، فما ضاع وقتٌ قُضي مع الله إلا عاد على صاحبه بركةً وسعادةً لا تُوصف.

---

<sup>١</sup> تفسير ابن كثير

## بداية رحلة الشوق والعبادة

هل فكرت يوماً في المنافسة التي لا ترى بالعين ولا تُحصى بالأرقام؟ تلك التي تقاس بصدق النوايا وخفقات القلب المتوجهة إلى الله عز وجل؟

إنها ليست في عدد الركعات، ولا في طول الدعاء، بل في لحظة تجرد خالصة، حيث ينشغل القلب بالعبادة، بعيداً عن أعين الناس وأصداء التصفيق.

فكيف لرمضان، شهر الرحمة والغفران، أن يكون موسمًا للحصاد إن لم نبدأ الآن بزرع بذور الإخلاص؟ وكيف تنطلق رحلة الشوق إلى الله دون أن نخطو أولى خطواتنا نحو استعادة تواصلنا العميق مع ربنا؟

## التحضير للموسم العظيم

هل يمكن لرياضي أن يفوز في سباق دون أن يخوض فترة تدريب مكثف؟ بالطبع لا، فالنجاح يبدأ من لحظة اتخاذ القرار، حين يلتزم الرياضي بالتدريبات، ويكرّس جهده ليكون مستعداً ليوم السباق الكبير.

وبالمثل، قلوبنا تحتاج إلى فترة إعداد، إلى تدريب روحي، حتى تتأهل لاستقبال رمضان بشوق وروحانية عالية.

قال أبو بكر البلخي:

(شهر رجب شهر للزرع، وشعبان شهر السقي للزرع، ورمضان شهر حصاد الزرع)<sup>١</sup>.

هذه الكلمات تلخص حكمة عظيمة: إذا أردنا أن نحصد ثمار عبادتنا في رمضان، فلا بد أن نبدأ الأعمال الصالحة في رجب، ثم نسقيها بالمداومة عليها والإحسان في أدائها في شعبان، حتى نحصد ثمارها بالخشوع والتلذذ بها في رمضان.

فكيف نبدأ بهذا الإعداد

## بذور الشوق والعبادة

لن تشتاق قلوبنا إلى رمضان إلا إذا بدأنا بالتدريب على مختلف أنواع العبادات:

- الصيام،
- القيام،
- قراءة القرآن،

---

<sup>١</sup> لطائف المعارف

- الإحسان إلى الغير.

وإن لم نبدأ بعد، فإن شهر رجب، شهر الغرس، هو الوقت الأمثل للانطلاق.

### كيف استعداد النبي صلى الله عليه وسلم لرمضان؟

كان النبي صلى الله عليه وسلم مثالا عمليا للاستعداد الروحي لشهر رمضان، فقد روي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: (ولم أره صائماً من شهر قط أكثر من صيامه من شعبان. كان يصوم شعبان كله. كان يصوم شعبان إلا قليلاً).<sup>١</sup>

هذا الحرص على الصيام قبل رمضان يعلمنا أهمية التدريب على العبادة، فالصيام ليس مجرد إمساك عن الطعام، بل مجاهدة حقيقية للنفس، وفرصة للتقرب من الله، والاستعداد الروحي لاستقبال رمضان بشوق وإخلاص.

وفي كلمات لابن القيم يبين أن الطاعة تحتاج إلى صبر ومجاهدة حتى تصبح جزءاً من حياتنا، فيقول: (لا يزال المرء يعاني الطاعة حتى يألفها ويحبها، فيُقْبِض الله له ملائكة تؤزّه إليها أزاً، توقظه من نومه إليها، ومن مجلسه إليها).<sup>٢</sup>

فكلما اجتهدنا في الطاعات في رجب وشعبان، كلما ازداد استعدادنا الروحي، وأصبح شوقنا لرمضان حنين صادق يملأ قلوبنا.

### المنافسة الحقيقية في رمضان

ليست عدد الصلوات أو الصيام، بل في صدق النية، وعمق الإخلاص.

---

<sup>١</sup> رواه مسلم

<sup>٢</sup> الجواب الكافي

يقول الله تعالى:

{وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ \* أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ \* فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ \* ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ}¹.

والسبق إلى الله ليس بالأفعال الظاهرية، وإنما يتطلب قلبا نابضا بالشوق، ورغبة صادقة في التقرب منه.

وأول خطوة في هذا الطريق هي الدعاء:

ليس فقط بأن يبلغنا الله رمضان، بل أن يبارك لنا فيه، ويعيننا على استثماره إلى أقصى حد.

وقد قال أحد السلف: (إذا دعوت الله أن يبلغك رمضان فلا تنسى أن تدعوه أن يبارك لك فيه، فليس الشأن في بلوغه إنما الشأن في ماذا ستعمل فيه).

### ومضة

المنافسة الحقيقية لا تكمن فيمن يؤدي عبادات أكثر، بل فيمن يفتح قلبه لله بصدق وإخلاص، ليحظى بالقرب والسكينة.

---

¹ الواقعة ١٠ - ١٤



## جهاد الأم في رمضان

في زحام الأيام الرمضانية، وبينما تتسابق الأرواح للطاعات، هناك جهاد خفي تخوضه الأمهات بصمت وصبر. جهاد لا يُرى للعيان، لكنه يحمل بين طياته معاني الإخلاص والتفاني.

وسط هذه المشاعر الممزوجة بالإرهاق والرجاء، تقف الأم في ميدان خاص لها، حيث تمتزج أدوارها اليومية بعباداتها. فما هي تفاصيل هذا الجهاد؟ وكيف يمكن للأم أن تستشعر جمال عبادتها في خضم مسؤولياتها؟

لنتأمل الحكاية، وستلمس كل أم في هذه الكلمات نبضا من حياتها، وستكتشف رسالة تُلهم قلبها وتربط روحها بمعاني العبودية الحقة.

مع بداية وقت السحر، استيقظت مسك على صوت المنبه الذي لم يرحم ثقل جفونها. غسلت وجهها على عجل، واتجهت إلى المطبخ لتحضير السحور، وهي تهمس بدعوات خافتة: "يا رب، اجعلني من المقبولين."

أثناء السحور، وبينما حاولت أن تخشع في دعاء قبيل الفجر، بدأ الأولاد في سرد الحكايات والمزاح، مما شتت تركيزها. انتهى السحور سريعاً، لتبدأ معركة الصلاة. صوتهما يعلو تارةً، وتهدئ تارةً أخرى: "هيا يا أبنائي، أذن الفجر! وحان وقت الصلاة."

وبينما انشغلت بتوديع لحظات الفجر الهادئة، كانت الشمس تستعد لتبدأ يوماً جديداً مليئاً بالتحديات.

مع بزوغ الصباح، بدأ الاستعداد للمدارس. وسط ضجيج المفقودات ومطالب الصغار، انطلق الكبار نحو يومهم، لتبقى مسك مع صغارها. ظنت أنها ستنال بضع دقائق من الهدوء، لكن الصغار كانوا في عالم آخر، بمشاجرات صغيرة، وركض بين الغرف، وألعاب صاخبة. حاولت ترتيب البيت، لكنهم كانوا يقفزون حولها، يضحكون ويمزحون. بحلول الظهر، تنقلت بين تجهيز الطعام وتلبية طلبات العائلة التي لا تنتهي، على أمل أن تُنهي كل شيء بحلول العصر، لكن الوقت تسارع وكأنه يسبقها.

حين أذن المغرب، جلست مع أسرتها لتناول الإفطار وقد أثقلها التعب. كانت عيناها تلتقط المصحف مجدداً، لكنها لم تستطع مقاومة النعاس، فأغمضت عينيها للحظات دون أن تشعر.

مع العشاء، حاولت حضور صلاة التراويح في ركنها الخاص، لكنها لم تسلم من المقاطعات المتكررة: أحدهم يريد ماءً، وآخر يبحث عن شيء ضائع. انتهت الصلاة وهي تشعر أنها تركض في سباق لا نهاية له.

وفي سكون الليل، جلست في زاوية صغيرة من غرفتها، أغمضت عينيها، وهمست بشوق: "يا رب، ارزقني وقتاً أفرغ فيه لك كما أحب، ولكن حتى ذلك الوقت، تقبل مني جهادي هذا ولا تحرمني أجره. اجعل كل لحظة من تعبتي قرباً منك"

### مكانة الأم وجهادها في الإسلام

للأم مكانة عظيمة في حياة أبنائها، فهي منبع الحب والحنان، ومصدر الرعاية والاحتواء. هي التي ترعى شئونهم وتغرس في قلوبهم بذور الإيمان، تقضي حوائجهم في الصغر وترشدهم بحكمتها في الكبر. وتلك المهمة العظيمة تجعلها ركيزة أساسية في بناء الأسرة، يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: (كلكم راع ومسؤول عن رعيته، ... والمرأة في بيت زوجها راعية ومسؤولة عن رعيته)<sup>١</sup>.

تلك الرعاية ليست مجرد مسئولية دنيوية، بل هي طاعة اختص الله بها المرأة عامة والأم خاصة، وكل أمر شرعي نؤديه بروح الإخلاص فهو طاعة نؤجر عليها.

### جهاد الأم في ميادين الصبر والتربية

للأم جهاد عظيم في ميادين الصبر والتربية والرعاية. قد تشعر أحياناً بأن مسئولياتها اليومية تحول بينها وبين أداء المزيد من الطاعات أو التفرغ الكامل للعبادة. وهذا ليس شعورها وحدها، بل سبقها إليه بعض الصحابة الكرام من قبل.

فقد روى أبي هريرة رضي الله عنه أن بعض فقراء المسلمين ذهبوا إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وقالوا:

---

<sup>١</sup> رواه البخاري

(يا رسول الله، ذهب أهل الدثور بالدرجات والنعيم المقيم،

قال: كيف ذاك؟

قالوا: صلوا كما صلينا، وجاهدوا كما جاهدنا، وأنفقوا من فضول أموالهم  
وليست لنا أموال،

قال: أفلا أخبركم بأمر تدركون من كان قبلكم، وتسبقون من جاء بعدكم، ولا  
يأتي أحد بمثل ما جئتم به، إلا من جاء بمثله، تسبحون في دبر كل صلاة عشرة،  
وتحمدون عشرة، وتكبرون عشرة)<sup>١</sup>.

لم يكن سؤال الصحابة الفقراء بدافع الغيرة أو الاعتراض على قسمة الله  
للأرزاق، بل كان نابعا من حرصهم على زيادة أجورهم واغتنام الفرص لنيل  
الدرجات العليا. لقد دفعهم هذا الشعور النبيل إلى طلب المزيد من طرق  
الطاعات، فجاء الرد النبوي ليبين لهم أن أبواب العبادة لا حدود لها، وأن لكل  
عبد طريقا يناسبه ليتقرب به إلى الله.

وهذا الأمر ينطبق على الأمهات اللواتي يثقل كاهلهن مسؤوليات الحياة، وقد  
يشعرن بالرغبة في التفرغ للعبادة. عليهن أن يدركن أن تربية أبنائهن ورعاية  
أسرهن هي عبادة عظيمة في حد ذاتها، اختارها الله لهن لتكون وسيلتهن  
للتقرب إليه. ولأن الجزء من جنس العمل، فإن تفاني الأم في رعاية أبنائها  
وزوجها يعود عليها برضا الله وحسن صحبة أبنائها لها، كما ورد في الحديث  
الشريف:

(جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم،

فقال: يا رسول الله، من أحق الناس بحسن صحابتي؟

قال: أمك

قال: ثم من؟

---

<sup>١</sup> رواه البخاري

قال: ثم أمك

قال: ثم من؟

قال: ثم أمك

قال: ثم من؟ قال: ثم أبوك<sup>١</sup>.

فالأم فطرت على رهافة الإحساس تجاه أسرتها، فهي تحرص دوماً على تلبية احتياجاتهم ورعاية قلوبهم، مما يجعلها بحق الحاضنة لمشاعرهم. ولأن الجزء من جنس العمل، فإن هذا الحديث يحمل بين طياته عزاء عظيماً للأم، ليذكرها أن جهودها المبذولة اليوم ستثمر حبا وبراً في الغد.

وإذا اشتاقت الأم إلى المزيد من القرب من الله، فلتعلم أن صدقها وإخلاصها في أداء دورها الأسري هو أعظم وسيلة للتقرب إليه بالعبادة التي اختارها هو لها. وإذا ما أدت هذا الدور بعزيمة واحتساب، فسيمناها الله من البركات والتوفيق ما يعينها على بلوغ الطاعات الأخرى، فتحيا حياة طيبة تمزج بين العطاء الروحي والإنجاز الدنيوي، وتجد في ذلك سلوى وعزاء في مشقتها العظيمة.

### العبادة ليست حكراً على أشكال محددة

وإذا تأملنا في شعور الأنثى عامة، والأم خاصة، بعدم الرضا عن مسؤولياتها التي تستنزف كل وقتها، وفي إحساسها بذبول روحها لعدم كفاية وقتها لتلاوة الآيات، أو افتقارها إلى طاقة تعينها على ركعات في جوف الليل. نجد أن السبب الرئيسي وراء ذلك يكمن في النظرة المحدودة للعبادة.

كثير منا يحصر العبادة في أشكال معينة من الطاعات الظاهرة، مثل الصلاة والصيام وقراءة القرآن، بينما يغفل عن أن العبادة أبوابها واسعة تشمل كل

---

<sup>١</sup> رواه البخاري

ما يقربنا من الله. فرعاية الأم لأسرتها ليست مجرد مسئولية روتينية تؤديها، بل هي عبادة عظيمة أمر بها الشرع.

يقول النبي صلى الله عليه وسلم:  
(والمرأة في بيت زوجها راعية ومسئولة عن رعيته).

إنها طاعة خفية عظيمة الأجر إذا أخلصت النية لله واحتسبت الجهد فيها. قد تكون هذه العبادة أعظم أجرا من عبادات أخرى، لأنها تستوعب كل لحظة من حياة الأم، وتفيض منها آثار الخير على من حولها.

ولنتأمل أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم التي تبين فضل الأعمال المحببة إلى الله، سنجد أن الأم تجسد هذه الأعمال في كل تفاصيل حياتها. يقول النبي صلى الله عليه وسلم:  
(أحب الناس إلى الله أنفعهم للناس، وأحب الأعمال إلى الله عز وجل سرور يدخله على مسلم، أو يكشف عنه كربة، أو يقضي عنه ديناً، أو تطرد عنه جوعاً)<sup>١</sup>.

والأم أكثر الناس منفعة لأسرتها؛ فهي التي تُدخل السرور إلى قلوب أطفالها وأهل بيتها، تخفف عنهم الأحزان، وتطعمهم الطعام، وتسهر على راحتهم في أدق تفاصيل حياتهم. إنها حقا تعيش في كل لحظة معاني النفع، والبذل، والعطاء، التي يحبها الله.

### نعم الله على الأمهات

لو تأملنا في حال الأم، لرأينا لطف الله ورحمته يغمران حياتها بكل تفاصيلها، فهو لا يضيع جهدها ولا يذهب تعبها سدى، يقول الله تعالى:

<sup>١</sup> السلسلة الصحيحة

{إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا}¹.

عندما تعتنين ببيتك وأسرتك ابتغاء مرضاة الله، وأنت تتحلين بالإحسان فيما تفعلين، فإن الله يعذك بأجر عظيم يوازي جهدك وصبرك. بل وأكثر من ذلك، حين تجمعين بين عبادة الصيام، وعبادة الرعية، وعبادة الإحسان، فإن أجرك يضاعف أضعافاً كثيرة. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن لك من الأجر على قدر نصبك ونفقتك)².

وعلى قدر اجتهادك وبذلك وعطائك، وعلى قدر تعبك في أداء مهامك برضا وإخلاص، يكون أجرك عند الله مضاعفاً.

وفوق كل ذلك، أنت في نعمة عظيمة يتمناها الكثيرون. لقد جعل الله مهمتك في رعاية أبنائك باباً من أبواب العبادة والقربة إليه. وحين تؤدين هذا الدور مستشعرة أنك تعبدن الله من خلاله، ستجدين السكينة تملأ قلبك، وستشعرين بلذة العبادة ترافقك في كل خطوة.

وهناك نعمة أخرى تفيض على روحك، وهي ذلك الشوق العظيم للأعمال التعبدية الأخرى، كالصلاة وقراءة القرآن. هذا الشوق الذي يزداد في غمرة انشغالك، يجعلك تتلهفين لتلك اللحظات النقية وتستشعرين حلاوتها كلما أتحت لك الفرصة لأدائها. إنه شوق قد لا يعرف قيمته من يتوفر له الوقت الواسع دون انشغال.

فلنحمد الله على عظيم فضله، ولنستحضر وعده سبحانه: {لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ}³، ولنجعل كل لحظة من حياتنا، ذكرى إيمانية جميلة:

¹ الكهف ٣٠

² صحيح الجامع

³ إبراهيم ٧

- أثناء رعايتنا لأسرتنا، يمكننا ترديد الأذكار بصوت خافت، فيسمعه أبنائنا ويغرس في قلوبهم حب ذكر الله.
- أو نستغل وقت العمل المنزلي في استذكار بعض الآيات أو الاستماع لتلاوة القرآن، فتغمر بيوتنا بنور الإيمان.

بهذه النوايا، ترافقنا العبادة في كل تفاصيل حياتنا، ونصنع ذكريات روحانية ترافق أبنائنا وتكون لهم نبراسا يذكرهم دائما بحب الله وطاعته.

فهنيئاً لكل أم تبذل وتجتهد في سبيل عبوديتها لله، وخاصة في رمضان، حيث الأجر الأعظم، والفضل الأكبر.

### ومضة

يقول ابن القيم الجوزي:

(إذا أصبح العبد وأمسى وليس همه إلا الله وحده، تحمّل الله عنه سبحانه حوائجه كلها، وحمل عنه كلّ ما أهمّه، وفرّغ قلبه لمحبتة، ولسانه لذكره، وجوارحه لطاعته،

وإن أصبح وأمسى والدنيا همه، حمّله الله همومها وغمومها وأنكادها ووكّله إلى نفسه، فشغل قلبه عن محبته بمحبة الخلق، ولسانه عن ذكره بذكرهم، وجوارحه عن طاعته بخدمتهم وأشغالهم)<sup>١</sup>.

---

<sup>١</sup> الفوائد لابن القيم



## أبناءؤنا في رمضان

بين أجواء الإيمان ورائحة الفوانيس، يأتي رمضان ليكون أكثر من مجرد شهر عبادة. إنه موسم لصناعة القلوب، وإحياء الأرواح، وغرس بذور الحب والطاعة في قلوب أبناءنا، ليكبروا على ذكريات تنير حياتهم وتربطهم بالله. فكيف نجعل رمضان محطة تغمرهم بالإيمان، وتترك أثرا خالدا في قلوبهم؟

## في عالم الذكريات الدافئة

الذكريات الرمضانية التي نعيشها في طفولتنا تصبح جزءا لا يتجزأ من هويتنا، تزرع في قلوبنا رغبة عميقة في أن نقدم لأطفالنا نفس الدفء والجمال. هذا ما شعرت به مسك عندما وقفت أمام صندوق قديم غلفه غبار السنوات. فتحت بهبطاً، وكأن شريطاً من الذكريات عاد ليداعب قلبها مع أول لمسة.

كان رمضان آنذاك أشبه بحكاية ساحرة؛ الأجواء تفوح بعطر الإيمان، وأصوات الذكر والدعاء تنير ليااليهم، واللحظات العائلية تحمل دفئاً لا يُنسى. تذكرت مسك كيف كانت والدتها تُضفي على أمسياتهم طابعاً خاصاً من خلال أسئلة جذابة، تسألهم:

"ما معنى التقوى؟ ولماذا رمضان هو شهر العتق من النار؟"

في تلك اللحظة، ارتسمت ابتسامة على شفتيها، ولامست دمة حانية خدها. لكن سرعان ما انتشلتها خاطرة مفاجئة من شرودها:

"يا إلهي.. لقد نسيت تعليق زينة رمضان!"

هرعت لإحضارها قبل عودة أطفالها من المدرسة، وهي تتمتم بحنو:

"أريد أن أصنع لهم ذكريات تشبه ما صنعت أُمِّي لي... فالزينة ليست مجرد ديكور، بل هي قناديل تضيء قلوبهم استعداداً لشهر الرحمة."

## ذكريات رمضان وأثرها على أبنائنا

كل أم تتمنى أن يقر الله أعينها بأبنائها وينشؤوا على حب الله. وهنا تتجلى أهمية الذكريات الإيمانية في بناء النفوس، إذ يطمئن قلبها حين ترى ما جاء في منبع الوحي، مؤكداً أن التربية الإيمانية تبدأ منذ الصغر. يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم:

(سبعة يظلهم الله يوم القيامة في ظله، يوم لا ظل إلا ظله: ... [وذكر منهم] وشاب نشأ في عبادة الله)<sup>١</sup>.

إن ذكريات رمضان ليست مجرد لحظات عابرة، بل هي قناديل تضيء طريق الإيمان لأبنائنا. فالطفل الذي يجلس بجانبنا في صلاة التراويح، أو يساعدنا في تحضير الإفطار، سيحمل هذه اللحظات معه أينما ذهب. لكن في عصرنا، ومع كثرة الفتن من حولنا، نحتاج إلى وعي أكبر في غرس حب الطاعة في قلوبهم، وتحويل رمضان إلى محطة إيمانية راسخة.

### كيف ننشئ أبناءنا على حب العبادة؟

يقول ابن العثيمين عن الشاب الذي نشأ في عبادة الله: (أي نشأ منذ الصغر وهو في العبادة، فهذا صارت العبادة كأنها غريزة له، فألفها وأحبها، حتى إنه إذا انقطع يوماً من الأيام عن العبادة تأثر)<sup>٢</sup>.

من هنا ندرك أن السر يكمن في تعويد أبنائنا منذ نعومة أظفارهم على جو العبادة، وجعل رمضان تجربة فريدة تمزج بين الفرح والإيمان.

- الرضيع والقرآن: عندما يكون الطفل رضيعاً، تتشرب روحه آيات الله التي يرتلها والداه على مسامعه فيكبر على حب القرآن.
- المحاكاة والقذوة:

في لحظات الصلاة والخشوع، يرى أعين والديه تنظر إلى موضع السجود في سكون، فيحبو نحوهما، محاولاً تقليد حركاتهما. وحين يبدأ الكلام، يحاول ترديد الفاتحة والذكر بلغته الطفولية. فتتفتح في قلبه أولى

---

<sup>١</sup> رواه البخاري

<sup>٢</sup> شرح صحيح البخاري

زهور الإيمان، مصداقا لقول بعض السلف: "عودوا أولادكم الخير، فإن الخير عادة".

## صناعة الذكريات الرمضانية

إن أجمل ذكريات رمضان هي تلك التي تدغدغ قلوبهم بالفرح والإيمان. فحينما يتحول البيت إلى واحة مضيئة بالسكينة والأنوار والزينة، يشعر الأبناء بنسمات رمضان تداعب قلوبهم ليتزودوا منها. فكيف يمكننا أن نصنع تلك الأجواء؟

### ١. صناعة أجواء رمضان دافئة

- زينة رمضان:

تزيين البيت بسلاسل من الأنوار والفوانيس الملونة، واستقبال الشهر كما نستقبل عزيزا طال انتظاره. هذه اللمسات الطفولية تصنع ذكريات لا تُنسى في قلوب الصغار.

- أصوات القرآن:

حين يتردد القرآن في أرجاء البيت صباحا ومساء، ينساب النور إلى نفوسهم فتطمئن قلوبهم، وتشعر الأرواح بعظمة هذا الشهر.

- عادات عائلية خاصة:

كصلاة ركعتين قيام ليل في جماعة، أو وضع تحد لختم القرآن، فيغدو رمضان حكاية تجتمع عليها الأسرة كل يوم.

### ٢. سرد القصص والذكريات:

- ذكرياتنا معهم:

نتحدث عن طفولتنا في رمضان، وكيف كنا نشعر بسعادة غامرة ونحن نشارك الأسرة في لحظات الإفطار والسحور.

- وعندما نروي لهم بحماس ولهفة، سينتقل شغفنا إليهم، وتولد فيهم رغبة في خلق ذكريات مشابهة.
- قصص السلف وأهل التقوى:
- مشاركتهم حكايات ملهمة عن سير السلف في رمضان، وكيف جعلوا من كل لحظة قربا من الله، فتترسخ لديهم قيمة الوقت، ويزداد حرصهم على اغتنامه.
٣. التدريب على العبادات:
- الصيام للصغار:
- تدريبهم على صيام جزءا من النهار، حتى يعتاد الصغير شيئا فشيئا على الصوم، فيتدرج بالصيام من العصر إلى المغرب، ثم من الظهر إلى المغرب، ثم من الفجر إلى المغرب. ليتعود على انتظار أذان المغرب بشوق، فيحمل في قلبه لذة المشاركة مع الأسرة.
- الصيام للكبار:
- تحفيزهم على صيام التطوع، كيومي الإثنين والخميس، أو الأيام البيض، حتى يصبح الصيام عادة محبة.
- صلاة القيام:
- البدء بركعتين بعد العشاء، مع الأسرة، وإتاحة الفرصة للأبناء لتجربة الإمامة بينهم، مما يبث فيهم الثقة والأنس بهذه العبادة ثم التدرج في زيادة عدد الركعات.
- القرآن:
- جلسة عائلية صغيرة تتلو فيها الأسرة بضع آيات يوميا، ثم تزيد شيئا فشيئا. مع التركيز على تدبرها ولو بعبارات بسيطة. هذه اللحظات تؤلف بين القلوب وتجعل القرآن أنيسا لهم.

بهذه الخطوات الهادئة والتدرج المحسوب، ينبت حب العبادة في قلوب أبنائنا، ويغدو رمضان بالنسبة لهم نافذة مشرعة على نور وسكينة لا تخبو.

### همسة للوالدين في بلاد الغرب

إذا كنتم تعيشون في بلاد يقل فيها المسلمون وينعدم فيها صدى الأجواء الرمضانية، فلا تدعو ذلك يثنيكم عن غرس الشوق إلى رمضان في قلوب أبنائكم. وليكن بيتكم عالما صغيرا يمتلئ بروحانية الشهر ودفع الإيمان، فيشعر الأبناء أن مواسم العبادة هي مواسم فرح، وسرور، وسكينة، وطمأنينة.

#### - لنزين بيوتنا:

أضفوا اللمسات بالأنوار الملونة والفوانيس على الجدران والأركان، كأنما نرحب بضيف عزيز. هذه البهجة الملموسة تزرع في قلوب صغاركم شعورا بالاحتفال بموسم كريم يعزز انتماءهم وهويتهم الإسلامية.

#### - لنشغل ختمات القرآن:

اتركوا صوت القرآن يتردد بأصوات عذبة في أرجاء المنزل، فيدخل القلوب رقة وخشوعا، ويحيط العائلة بأجواء السكينة.

#### - لنحرص على الإفطار الجماعي:

ابحثوا عن الإفطارات الجماعية في المساجد والمراكز الإسلامية القريبة، فهذه اللقاءات تعزز شعور الأبناء بالانتماء، وتتيح لهم فرصة التواصل مع عائلات مسلمة تتقاسم معهم هموم الغربة وفرحة الرحمة في رمضان.

#### - لنخصص وقتا للتراويح:

مهما كانت المسافة بعيدة، لو جزءا بسيطا من صلاة التراويح في المسجد يمكنه أن يصنع فارقا في نفوس أبنائكم؛ فصور الإمام الندي يترك أثرا عجيب في الروح، ويُنمي حبهم للصلاة.

### ومضة

رمضان فرصة لنا ولأبنائنا؛ محطة نغتني فيها الأيام لنقرب قلوبنا وقلوبهم إلى الله. كل دعاء نهمس به، وكل لحظة نعيشها معهم بنبض الإيمان، هي حجر في بناء جيل يحمل الخير في قلبه.

فليكن رمضان هذا العام بداية لذكريات جميلة نصنعها بأيدينا، وثماراً إيمانية يانعة نجنيها في الدنيا والآخرة.

## العبادة وفترة الحيض والنفاس

حين يقترب رمضان وتتهياً القلوب لاستقباله، قد تتسلل مشاعر الحزن إلى المرأة وهي تتذكر أيام الحيض أو النفاس التي ستمنعها من بعض العبادات.

فهل حقا تُحرم من لذة القرب في تلك الأيام؟

وكيف يمكن أن تتحول تلك الفترة إلى باب جديد من الطاعة والارتقاء؟



## قُبيل رمضان

لم يبق سوى أيام على حلول رمضان، وها هي مسك ورفيقاتها يتحدثن بشوق عن استعداداتهن لشهر رمضان. وفجأة، سكنت نهى، وقد علت وجهها ملامح حزن وشروء.

نادت مسك: "نهى، أين ذهبت؟"

انتبهت نهى ثم قالت بأسى: "كنت متلهفة لاستقبال رمضان، ثم تذكرت أن حيضتي ستأتي بعد يومين، ثم تعود مجددا في نهاية الشهر... هكذا ستفوتني لذة البدايات والنهايات".

في كل عام، حين يقترب رمضان، يتسلل الحزن إلى قلب كل أنثى تشعر أنها ستُحرم أياما من الصوم والصلاة. تفكر بعضهن في تناول مانع للحيض هربا من هذه المشاعر المؤلمة. ونظرا لاختلاف مواعيد الحيض من امرأة لأخرى، يتفاوت أيضا إحساسهن بهذا الأمر.

- من كانت حيضتها قبيل الشهر أو في بدايته، يعتصر قلبها فقد بهجة الاستقبال.
- ومن تأتيا قرب نهاية الشهر، يكبر ألمها لفضل هذه الأيام، خاصة إن صادفت الليالي الفردية التي يترقب فيها الجميع ليلة القدر.
- أما من تجيئها في منتصف الشهر، فقد تشعر بشيء من الارتياح لأنها ستدرك بدايات رمضان ونهايته، لكنها تقلق من كيفية استعادة همتها بعد الطهر.

فهل فكرنا يوما في سبب انتشار هذا الحزن بين النساء؟

وهل تأملنا في حكمة الله ورحمته، التي تتنافى مع هذا الشعور بالحرمان؟

## هل العبادة تنحصر في الصلاة والصيام؟

إذا تأملنا ملياً، نجد أننا نحصر العبادة أحياناً في الصلاة والصوم فقط، فإذا ما مُنعت المرأة منهما خلال فترة الحيض أو النفاس، ينشأ لديها إحساس بالحرمان من رمضان. لكن هل هذا صحيح؟

هل تظنين أنه لا طريق للقرب من الله سوى بهاتين العبادتين وحدهما؟

يقول الله تعالى:

{قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}¹.

العبادة ليست محصورة في أركان الإسلام الخمسة فحسب، بل هي أوسع من ذلك بكثير؛ إنها كل همسة في القلب، وكل كلمة على اللسان، وكل حركة بالجوارح إذا جعلناها خالصة لله.

## عبادة الترك.. حين نطيع الله بترك ما أمرنا بتركه

ولأن الله أرسل الوحي نورا نهتدي به، فقد اشتمل على أوامره ونواهيه، ومنها ما يُعرف بـ "عبادة الترك"؛ تلك العبادة التي تدل على حب الله لعبده حينما يأمره بالبعد عن كل يؤذيه أو يفسد قلبه، وحب العبد لربه حينما يمتثل لأوامره.

فعبادة الترك تعني أننا حين ينهانا الله عن أمر قد يضرنا، نمتثل له وننال الأجر على طاعتنا. كترك الكبر والكسل وسوء الظن، لما فيها من فساد للقلب والروح، وترك المعاصي والمكروهات التي تعرقل القرب من الله.

¹ الأنعام ١٦٢

وأحياناً يأمرنا الله بترك الصوم والصلاة في أوقات محددة تخفيفاً ورحمة، كما في حال المريض والمسافر، أو المرأة الحائض والنفساء.

فهل نطيع الله بحب وشغف حين يأمرنا بالصلاة والصيام، ثم نحزن ونتحسر إذا أمرنا بتركهما لبضعة أيام في كل شهر؟ أليست الطاعة في الفعل والطاعة في الترك كلاهما سبيل إلى القرب منه سبحانه؟

أليس كلا الأمرين صورتين من صور الامتثال لمشيئته؟

إن توقيت الحيض لكل أنثى هو اختيار الله لها بما يناسب حالها، فهو أعلم بها وبظروفها، وأرحم بها من نفسها. ولو شاء لجعلها صائمة قائمة طوال الشهر، لكنه أراد لها أن تتعبد إليه بعبادات أخرى، تتناسب مع حالها في تلك الفترة.

فهل نرفض اختيار الله لنا، ونصر على التعلق باختيار هوانا؟

### سر الاستعداد في أيام الطهر

حتى تتمكن المرأة من التلذذ بالعبادة واستشعار حلاوة الإيمان في فترة الحيض والنفاس، لا بد من مجاهدة النفس على ممارسة أنواع أخرى من الطاعات، ولعل العودة إلى مقالة "بذور الإيمان لا تنمو فجأة" تعين على ذلك، وتذكر بأن الإيمان يحتاج إلى رعاية وتدرج.

فلنتذكر هذه القاعدة:

كلما حرصت على عبادة الله بمفهوم العبادة الواسع في أيام طهركِ، أعانكِ الله على العبادة بحب في أيام حيضكِ ونفاسكِ.

وعلى قدر اجتهادكِ في وقت الطهر، يكون عون الله لها في وقت العذر.

فإن كانت حياتك مغمورة بذكر الله، والصلاة على النبي، والدعاء، ومختلف ألوان الطاعة، فلن تشعر بالحرمان في أيام الحيض، لأنك ببساطة أدركت أن أبواب القرب إلى الله كثيرة، وأرزاق العبادة متنوعة، فلا تنحصر في شكل واحد فقط.

### أقوال العلماء حول عباد الحيض

- ابن عثيمين - حكم قراءة القرآن للحائض  
(يجوز للحائض أن تقرأ القرآن من التفسير وغير التفسير إذا كانت تخشى أن تنسى ما حفظته. فإن كان من التفسير لم يشترط أن تكون على طهارة، وإن كان من غير التفسير بأن يكون من المصحف فلا بد أن تجعل بينها وبينه حائل من منديل أو قفاز أو نحوه).<sup>١</sup>
- عبد العزيز الطريفي - عبادة المرأة في العشر الأواخر:  
(المرأة الممنوعة من الصلاة بعذر الحيض لها الجلوس في مصلاها ليالي العشر بلا صلاة، تقرأ وتذكر الله وتدعوه ويرجى لها إدراك أجر العشر وليلة القدر)

ما أجمل هذه الرخصة التي تندرج تحت مفهوم عبادة الترك! فهي تمنحنا فرصة لاستكشاف أبواب أخرى للقرب من الله، فنحقق الطمأنينة والسكينة، ونزيل أي إحساس بالحرمان.

---

<sup>١</sup> فتاوى نور على الدرب

## ومضة

أهمس بها إليك، يا من تبحثين عن أحكام الطهارة في رمضان لتطمئني على صحة صومك:

هل تعلمين أنك تحتاجين إلى هذا العلم نفسه على مدار العام، للتأكد من صحة صلاتك أيضا؟

فكما يعتمد صومك على طهرتك من الحيض، كذلك تعتمد الصلوات الخمس عليه. فلا تنتظري حلول شهر رمضان لتسألي وتبحثي، بل احرصي على تعلم على تعلم كل ما يصلح عبادتك ويزيدك قربا من الله في كل حين.

## أخطاء رمضانية منتشرة

هل تأملنا يوماً في بعض العادات التي نكررها كل عام في رمضان، دون أن نتساءل إن كانت تتناغم حقاً مع روح هذا الشهر المبارك؟

قد تبدو عادات بسيطة ألفناها منذ الصغر، لكن بعضها - من حيث لا ندري - قد يسرق منّا جمال العبادة، ويشوه معنى الأجواء الرمضانية.

سبحان الله الذي خلق النفس البشرية على صفة النسيان، حتى يتجدد فيها التوبة والتعلم واللجوء إليه سبحانه.

ورغم كثرة التوعية والتذكير بأحكام الصيام كل عام، تظل هناك عادات خاطئة تتناقلها الأجيال عن جهل، تحتاج منا إلى تصويب. فلنتأمل معا سبعة من الأخطاء الرمضانية الشائعة؛ عسى أن ننتبه لها ونستقبل رمضان بروح أقرب للمنهج النبوي.

### ١. نسيان تبيت النية للصيام،

رغم معرفتنا مسبقا أننا سنصوم رمضان، قد نخفل عن تبيت النية ليلا، ونفوت بذلك على أنفسنا أجرا عظيما. قال الرسول صلى الله عليه وسلم:

(إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا، أَوْ إِلَى امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا، فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ).<sup>١</sup>

بعض الناس قد يصوم كي يُقال عنه صائم، فينال مدح الخلق لكنه يُحرم الأجر الحقيقي، أو يصوم عادة دون نية عبادة، فلا ينال ثوابا حقيقيا. أما من يصوم بنية التقرب إلى الله، فيبلغ المقصد الأساسي من الصيام، وهو التقوى. لذا حثنا المصطفى صلى الله عليه وسلم على تبيت النية بقوله:

(لَا صِيَامَ لِمَنْ لَمْ يَبَيِّتِ الصِّيَامَ مِنَ اللَّيْلِ)<sup>٢</sup>،

وفي رواية أخرى قال فيها: (من لم يبيت الصيام قبل الفجر، فلا صيام له)<sup>٣</sup>.

فمن رحمة الله وفضله أنه إن نسي أحد تبيت النية ليلا، يمكنه تدارك ذلك عند السحور.

<sup>١</sup> رواه البخاري

<sup>٢</sup> رواه الترمذي

<sup>٣</sup> رواه النسائي

## ٢. كثرة الزيارات ودعوات الإفطار

من مظاهر الجود والكرم في رمضان تكثيف أعمال الخير وصلة الأرحام، لكن البعض يبالغ في تنظيم العزائم والدعوات، فينقضي الشهر بين الولائم والزيارات، وننسى أن رمضان فرصة نادرة للخلوة مع الله لنرتوي من لذة العبادة ونتزود بنفحات الإيمان.

ليس هذا نداء لمقاطعة الأحباب، بل دعوة لضبط ميزان حياتنا. فرمضان شهر للقرب من الله، أما بقية الشهور فهي تسع الوصال مع من نحب. وإن اضطررنا لدعوات في رمضان، فلنحسن التخطيط حتى لا نغرق في دوامة المطبخ والتنظيف، ولنجعل لقاءنا لقاء إيماناً، نحيا فيه ذكر الله. وإذا امتد بنا المجلس إلى العشاء، لندعو الجميع لصلاة الجماعة والتراويح.

## ٣. الإسراف في الطعام والشراب

كثيراً ما كنا نسمع في صغرنا: "صوموا لتشعروا بمعاناة الفقير!" مما جعل بعضنا يندفع عند أذان المغرب لتعويض ما فات، بل وربما يتناول كميات أكبر من حاجته، وكأنه يخشى جولة أخرى من الحرمان!

ننسى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

(ما ملأ آدمي وعاء شراً من بطن، بحسب ابن آدم أكلات يُقْمَنَ صُلْبَهُ، فإن كان لا محالة، فثُلُثٌ لطعامه، وثلثٌ لشرابه، وثلثٌ لنفسه).<sup>١</sup>

فلنتذكر أن مقصود الصيام تهذيب النفس، لا ملء البطون عند الإفطار. فبضع لقيمات تكفيها وتمنح أرواحنا حرية من سطوة شهوة الطعام. ومن يكثر من

<sup>١</sup> صحيح الجامع



الطعام والشراب، تثقل حركته وينقص خشوعه في الصلاة والقيام، متناسياً قوله سبحانه وتعالى:  
{وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ}¹.

#### ٤. انتشار الغضب والسلوكيات السلبية

الصيام مدرسة لتهديب النفس، يقول الله تعالى:  
{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ}².

ومع ذلك، نجد بعض الصائمين يتذرعون بالجوع أو العطش لينفجروا غضباً عند أدنى سبب. متناسين وصية النبي صلى الله عليه وسلم:  
(أَنَا زَعِيمٌ بِبَيْتٍ فِي رَبَضِ الْجَنَّةِ، ... [وذكر منها] وَبَيْتٌ فِي أَعْلَى الْجَنَّةِ لِمَنْ حَسَنَ خُلُقُهُ)³.

وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم:  
(الصَّوْمُ جُنَّةٌ، فَإِذَا كَانَ يَوْمٌ صَوْمٍ أَحَدِكُمْ، فَلَا يَرْفُثْ وَلَا يَصْخَبْ، فَإِنْ سَاءَ لَهُ أَحَدٌ، أَوْ شَاقَّهُ، فَلْيَقُلْ: إِنِّي صَائِمٌ)⁴.

فلنجعل رمضان فرصة للارتقاء بأخلاقنا، بدلاً من أن يتحول الصوم إلى حجة نعلق عليها نزواتنا السلبية. فكل لحظة غضب تفقدنا من طمأنينة القلب وتقوى الصيام وتحرمنا من الثواب الذي نرجوه.

¹ الأعراف ٣١

² البقرة ١٨١

³ صحيح الجامع

⁴ رواه البخاري ومسلم

## ٥. تأخير الإفطار وتعجيل السحور

من رحمة الله بنا أنه شرع لنا تعجيل الإفطار وتأخير السحور، حتى ننال بركة الوقت ونتقوى على النهار. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا تزال أمتي بخير ما عَجَّلُوا الإفطارَ وَأَخَّرُوا السُّحُورَ)<sup>١</sup>.

فالصيام تربيةً وتهذيب، لا مشقة مفتوحة بلا حدود. ومن آخر إفطاره بغير عذرٍ مشروع، أو عَجَّلَ سحوره ونأى عن بركته، فقد خالف هدي النبي صلى الله عليه وسلم وحرَمَ نفسه لذةً الثلث الأخير من الليل؛ حيث يتنزل الرب سبحانه إلى السماء الدنيا، فيستجيب الدعاء ويضاعف الأجر. فلنحرص على التسنن بفعله صلى الله عليه وسلم، وبذلك ننهل من غذاء الجسد، ونحيي أرواحنا قرب الفجر في مناجاةٍ خالصة لله.

## ٦. اجتناب المعاصي نهاراً وارتكابها ليلاً

يظن البعض أن الصيام ينحصر في الامتناع عن الطعام والشراب، فيبتعدون عن المعاصي نهاراً، وما إن يحل الإفطار حتى يعودوا إلى مشاهدة المسلسلات وسماع الأغاني والخوض في القيل والقال.

وقد أشار ابن القيم إلى سر ذلك بقوله:

(خُلِقَ بدن ابن آدم من الأرض، وروحه من ملكوت السماء، وقرن بينهما، فإذا أجاج بدنه وأسهره وأقامه في الخدمة، وجدت روحه خفة وراحة، فتاقت إلى الموضع الذي خلقت منه، واشتاقت إلى عالمها العلوي، وإذا أشبعه، ونعمه، ونوّمه، واشتغل بخدمته وراحته، أخلد البدن إلى الموضع الذي خُلِقَ منه، فانجذبت الروح معه، فصارت في السجن).<sup>٢</sup>

<sup>١</sup> الجامع الصغير

<sup>٢</sup> الفوائد

فالله سبحانه وتعالى خلق جسد الإنسان من الأرض، وجعل غذاؤه من ملذاتها، ثم نفخ فيها الروح التي تتغذى بما يصلها بخالقها. فإن ثقل الجسد بالإفراط في الشهوات، ضعفت الروح وضعف وصالها بخالقها، وكأنها في سجن من ملذات الدنيا. وإن خففنا الجسد بالاعتدال في الملذات، ارتقت الروح وأقبلت على الله. وهذا ما نراه جلياً في رمضان؛ حين نمتنع عن الطعام والشراب وملذات الدنيا، فتشتاق الروح لربها وتجد طريقها للطاعات.

#### ٧. الاعتقاد بأن رمضان شهر الرهبانية

يعتقد بعض الناس أن رمضان شهر للرهبانية المطلقة؛ فتبتعد الزوجة عن زوجها، وتنشغل بالعبادات طوال الوقت، متناسية أن تلبية احتياجات زوجها - في حدود الشرع - هي أيضاً عبادة.

وما أجمل قول النبي صلى الله عليه وسلم حين سأله الصحابة: (أَيُّنِي أَحَدُنَا شَهْوَتُهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَيَكُونُ لَهُ فِيهَا أَجْرٌ؟) قال: أليس أن وضعها في حرام كان عليه وزرٌ؟ فكذلك إذا وضعها في حلال كان له أَجْرٌ<sup>١</sup>.

فلا ينبغي هجر الأسرة بحجة التفرغ للعبادة، بل المطلوب هو التوازن: نجمع بين عبادة القلب مع الله، وعبادة الإحسان للأسرة، فيتحقق لنا خير الدارين.

---

<sup>١</sup> رواه مسلم

### ومضة:

رمضان مدرسة ربانية متكاملة، تصحح أخطاءنا وتعيدنا إلى الطريق القويم  
مع الله ومع أنفسنا. فالقرب من الله لا يتحقق إلا بقلب واع، ونفس تسير  
على هدي نبوي واضح.

## مفطرات ومفسّدت الصيام

رمضان رحلة إيمانية نتقرب فيها إلى الله بقلوب مخلصة وأعمال صالحة، لكن أحياناً، قد نرتكب أفعالاً بسيطة نظنها عادية، بينما قد تفسد صيامنا أو تنقص أجره دون أن ندري.

كيف لنا أن نتجنب هذه العثرات، ونعيش صيامنا بوعي ويقين؟

## نور العلم في رحلة الصيام

في كل رحلة نسير فيها نحو الله، لابد أن يصحبنا نور العلم ليضيء لنا الطريق، ويعيننا على أداء الطاعات بوعي واطمئنان. ورحلتنا مع الصيام في رمضان لا تختلف، فهي تحتاج إلى فهم واضح لأحكامها، حتى لا نتعثر بأفعال قد تفسد صيامنا أو تنقص أجره دون أن ندري.

ومع اقتراب كل رمضان، تتكرر الأسئلة حول ما يفطر الصائم وما لا يفطره، مما يبرز أهمية تسليط الضوء على هذا الموضوع بأسلوب بسيط وواضح، لتتعلم شروط مفطرات ومفسدت الصيام، ونؤدي عبادتنا على الوجه الصحيح.

### شروط المفطرات الثلاثة

يوضح الشيخ ابن عثيمين شروط المفطرات بقوله:  
(جميع المفطرات لا يفطر بها الإنسان إلا بشروط ثلاثة: أولاً: أن يكون عالماً بالحكم الشرعي. ثانياً: أن يكون متذكراً للحكم الشرعي وقت القيام بما يُفطر. ثالثاً: أن يكون الإفطار باختياره وليس مُكره عليه)<sup>١</sup>.

فلو اختلف واحد من هذه الشروط، يبقى صيام الصائم صحيحاً ولا يعد مفطراً.  
١. العلم بالحكم الشرعي:

من كان يعلم أن الأكل والشرب يفطر الصائم، ثم تعمد الأكل والشرب، فقد أفطر. أما من جهل الحكم، كأن لم يعلم أن هذا يُفطر الصائم، فلا يعد مفطراً.

<sup>١</sup> فتاوى الشيخ ابن عثيمين بتصرف يسير

٢. تذكر الحكم وقت الفعل:

من أكل أو شرب ناسياً أنه صائم، فصيامه صحيح، ولا حرج عليه، لقول النبي صلى الله عليه وسلم: (إذا نسي فأكل وشرب، فليتم صومه، فإنما أطعمه الله وسقاه)<sup>١</sup>

٣. الاختيار وعدم الإكراه:

من أُجبر على الإفطار، كأن سقي الماء بالقوة، فلا يُعد مفطراً، لأن الأمر لم يكن باختياره.

قول ابن تيمية في أنواع المفطرات

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية أن: (المفطرات على نوعين:

١. ما يكون من نوع الاستفراغ، كالجماع والاستقاء (القيء المتعمد) والحيض والاحتجام، فخرج هذه الأشياء من البدن مما يضعفه، ولذلك جعلها الله تعالى من مفسدات الصيام، حتى لا يجتمع على الصائم الضعف الناتج من الصيام مع ضعف ناتج عن خروج هذه الأمور.

٢. ما يكون من نوع الامتلاء كالأكل والشرب، فإن الصائم لو أكل أو شرب لم تحصل له الحكمة المقصودة من الصيام).<sup>٢</sup>

---

<sup>١</sup> رواه البخاري

<sup>٢</sup> مجموع الفتاوى باختصار

أي أن هناك نوعين من الأشياء التي تفطر:

١. المفطرات الناتجة عن الاستفراغ (ما يخرج من الجسد ويُضعفه)  
وهي كل ما يخرج من الجسم بشكل يؤدي إلى ضعف البدن يُعد من  
المفطرات، مثل:

- الجماع: لأنه يُفقد الجسم طاقته ويؤدي إلى إنهاكه.
- التقيؤ المتعمد: إخراج ما في البطن، يؤدي إلى الإعياء.
- الحيض والنفاس: بسبب فقدان الدم وضعف الجسد.
- الحجامة والتبرع بالدم: لأنهما يؤديان إلى نقص السوائل والطاقة في الجسم.

كل هذه الأمور تجعل الصائم أكثر ضعفاً، ولأن الصيام في حد ذاته يتطلب جهداً بدنياً بسبب الامتناع عن الطعام والشراب، من رحمة الله أنه جعل هذه الأمور مفسدات للصيام، حتى لا يجتمع على الصائم نوعان من الضعف، فيتضرر جسمه وتخرج عبادته عن حد الاعتدال..

٢. المفطرات الناتجة عن الامتلاء (ما يدخل الجسم ويغذيه)

يشمل كل ما يدخل الجسم ويغذيه، مثل:

- الأكل والشرب، لأنهما يلغيان المقصد الأساسي من الصيام، وهو تهذيب النفس.
- المحاليل الغذائية، مثل المحاليل الوريدية التي تعوذ الطعام والشراب.

إذا باختصار، جعل الله المفطرات على نوعين متضادين، ما يخرج من الجسم ويضعفه، وما يدخل إليه ويغذيه. وهذا التوازن الحكيم يضمن أن يحافظ الصائم على اعتدال عبادته، دون أن يعرض نفسه للإجهاد أو يخفق في تحقيق مقاصد الصيام.



## مفسدات الصيام كما ورد عن أهل العلم

- ورد في موقع الإسلام سؤال وجواب أن مفسدات الصيام سبعة<sup>١</sup>. وهي:
١. الجماع: يفسد الصيام سواء أنزل أم لا، ويجب فيها التوبة، وإتمام صيام ذلك اليوم، والقضاء بعد رمضان، والكفارة المغلظة.
  ٢. الاستمناء: إذا أنزل الصائم، وجب عليه التوبة، وإتمام الصيام، وقضاؤه بعد رمضان. وإن توقف عن الاستمناء قبل أن يُنزل، فعليه التوبة، وصيامه صحيح.
  ٣. الأكل والشرب عمداً: إدخال الطعام والشراب إلى المعدة عن طريق الفم أو الأنف لقول النبي صلى الله عليه وسلم: (وبالغ في الاستنشاق إلا أن تكون صائماً)<sup>٢</sup> هذا يُفطر وعليه القضاء بعد رمضان.
  ٤. ما كان بمعنى الأكل والشرب، مثل نقل الدم والإبر المغذية وغسيل الكلى، فهذا يُفطر وعليه القضاء بعد رمضان.
  ٥. إخراج الدم عمداً: كالحجامة لقول النبي صلى الله عليه وسلم: (أفطر الحاجم والمحجوم)<sup>٣</sup>، وكذلك التبرع بالدم، كل هذا يُفطر وعليه القضاء.
- ومن أصابه نزيف فصيامة صحيح لأنه بغير اختياره.
- ونزول الدم بخلع الضرس، أو شق الجرح، أو تحليل الدم، لا يُفطر.
٦. القيء عمداً: لقول النبي صلى الله عليه وسلم: (من ذرعه (أي غلبه) القيء فليس عليه قضاء، ومن استقاء عمداً فليقض)<sup>٤</sup>.

<sup>١</sup> الإسلام سؤال وجواب فتوى (٣٨٠٢٣)

<sup>٢</sup> رواه الترمذي

<sup>٣</sup> رواه أبي داود

<sup>٤</sup> رواه الترمذي

٧. خروج دم الحيض والنفاس: لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم:  
(أليس إذا حاضت لم تصل ولم تصم)¹، فمتى خرج الدم أفطرت، حتى  
لو كان قبل غروب الشمس بلحظات، وعليها قضاء ذلك اليوم.

### ومضة

الصيام ليس مجرد امتناع عن الطعام والشراب، بل رحلة واعي وتقوى. حين  
نُدرك مفسداته، نحمي عبادتنا من النقص، ونقترب من كمال الخشوع.  
فلنتعلم ونُعلم من حولنا، لنعيش رمضان بقلب يقظ وروح تتطلع إلى مراد  
الله:

{لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ}².

---

¹ رواه البخاري

² البقرة ١٨٣

### حين يخفت وهج القلوب في رمضان

نبدأ الشهر بروح مشتعلة، شوقاً للقيام، ولهفة لتلاوة القرآن، ورغبة في اغتنام كل لحظة. لكن بعد أيام، يتسلل إلينا شيء من الخمول، وتبدأ تلك الלהفة بالفتور. لم تعد الركعات طويلة كما كانت، ولا الدموع تنهمر بسهولة، ولا القرآن ينساب بنفس الشغف.

فلماذا نشعر بالفتور رغم حبنا للعبادة؟ وهل هذا الضعف علامة خطر، أم أنه جزء طبيعي من رحلتنا إلى الله؟

والأهم... كيف نخرج من هذه الدائرة دون أن نفقد روح رمضان؟

## الفتور... محطة أم سقوط؟

ذلك الشعور الذي يزورنا بعد أيام من الحماس والتوهج الإيماني، حين نجد أنفسنا وقد خف وهج أرواحنا، وأصبحت الطاعة ثقيلة بعد أن كانت لذيدة. شعور يراود كل مؤمن، فتتأرجح النفس بين اللهفة والتقصير، بين الهمة والخمول. لكنه ليس النهاية، بل هو جزء من الرحلة، محطة للراحة والتأمل، لا للسقوط والتراجع.

يقول حبيبنا المصطفى صلى الله عليه وسلم:  
(إن لكل عمل شرة، ولكل شرة فترة، فمن كانت فترته إلى سنتي فقد أفلح، ومن كانت فترته إلى غير ذلك فقد هلك).<sup>١</sup>

وهنا يضع لنا قاعدة ذهبية: أي عمل يبدأ بحماس وشغف، لكنه لا يبقى كذلك إلى الأبد، بل تأتيه فترات من الفتور والهدوء. والمهم في هذه اللحظات ليس الفتور ذاته، بل كيف نتصرف حياله؟ هل ننجرف بعيداً، أم نحافظ على الحد الأدنى الذي يُبقينا في دائرة الطاعة حتى تعود قلوبنا إلى وهجها من جديد؟

يقول ابن القيم في لمسة بديعة:  
(فتخلل الفترات للسالكين: أمر لازم لا بد منه، فمن كانت فترته إلى مقاربة وتسديد، ولم تُخرجه من فرض، ولم تُدخله في محرم: رُجي له أن يعود خيراً ممّا كان. قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأرضاه: إنَّ لهذه القلوب إقبالا وإدبارا، فإذا أقبلت فخذوها بالنّوافل، وإن أدبرت فألزموها الفرائض).<sup>٢</sup>

<sup>١</sup> صحيح الترغيب

<sup>٢</sup> مدارج السالكين

لنتأمل هذا الكلام العميق... الفتور قادم لا محالة، لكن أين سنقف حين يصيبنا؟ هل سنحافظ على الحد الأدنى من الطاعات وننتظر أن تعود أرواحنا للاشتعال من جديد، أم سنتكاسل حتى نبتعد عن دربنا شيئاً فشيئاً؟

ويؤكد الشيخ محمد المختار الشنقيطي هذا المعنى، فيقول: (العبد حين يُقبل على الطاعة، يشعر بلذة وحلاوة تدفعه لأن يملأ وقته بها، لكن بعد فترة، يألّفها قلبه، فتضعف شهيته لها. وهنا، ينكشف الصادق من المتكاسل. فالصادق يتمسك بالطاعة رغم الفتور، يحزن إذا قصر، ويدعو الله أن يرده إليها. أما الآخر، فكلما شعر بالفتور، تساهل، فتباعدت المسافات بينه وبين العبادة، حتى يجد نفسه قد تركها بلا شعور).<sup>١</sup>

إذاً، الفتور ليس مشكلة، بل رد فعلنا تجاهه هو ما يصنع الفرق. فكيف نواجهه بحكمة حتى لا يتحول إلى انتكاس والعياذ بالله؟

### كيف نتعامل مع الفتور بحكمة؟

حين يطرق الفتور أبواب قلوبنا، لا يعني ذلك أن رحلتنا قد انتهت، بل هو مجرد استراحة تحتاجها الروح لتلتقط أنفاسها. وللتعامل معه بحكمة، علينا أن نمد قلوبنا بما يقويها، ونستعين بالله ثم ببعض الوسائل التي تساعدنا على تجاوزه بلطف:

#### ١. عدم انتظار الفتور حتى يُسقطنا

المؤمن الفطن هو من يستشعر تسلل الفتور مبكراً، فلا ينتظره حتى يتمكن منه. بل يواجهه بالتجديد والتغيير، كالتنوع في العبادات، أو تغيير وقتها وطريقتها، حتى لا تصبح عادة بلا روح، فيبقى الإقبال على الله متجدداً ومتجذراً في القلب.

<sup>١</sup> محاضرة حياة القلوب باختصار وتصرف

## ٢. المداومة على الذكر والاستغفار

من أقوى الأسلحة لمقاومة الفتور، أن يبقى عامراً بذكر الله، خاصة "لا حول ولا قوة إلا بالله"، فقد كان الأنبياء حين تضيق بهم الحياة، يستغفرون الله، ويطلبون المغفرة. فالاستغفار نافذة تُفتح للروح لتستنشق نور الطاعة من جديد.

قال آدم عليه السلام: (رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ)<sup>١</sup>،

وقال نوح عليه السلام: (وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ)<sup>٢</sup>.

## ٣. التدرج في العبادات وعدم الإقبال عليها دفعة واحدة

حينما تشتعل الهمة، قد نشعر برغبة في أداء كل العبادات دفعة واحدة، لكن سرعان ما يتسلل الإرهاق، فتضعف النفس وتفتقر. لذلك، فإن الاعتدال هو المفتاح، والتوزيع الحكيم للطاقات هو السبيل للاستمرار دون انقطاع.

## ٤. الحفاظ على الحد الأدنى وعدم التفريط في الفرائض

عندما تكون أرواحنا محلقة، فلنكثر من النوافل، لكن إن أصابنا الفتور، فلنتشبث بالفرائض ولنعض عليها بالنواجذ، ولنحافظ على الحد الأدنى من الأعمال الصالحة، فهي الحبل الذي يُبقينا في طريق الطاعة.

فقد سئل النبي صلى الله عليه وسلم:

(أي الأعمال أحب إلى الله؟)

قال: (أدومها وإن قل)<sup>٣</sup>. فالقليل المستمر خير من الكثير المنقطع.

<sup>١</sup> الأعراف ٢٣

<sup>٢</sup> هود ٤٧

<sup>٣</sup> رواه البخاري

## ٥. شغل القلب والعقل وعدم ترك مساحة للفراغ

الفراغ هو السم القاتل للروح، فإذا لم نشغلها بطاعة، تسلل إلينا الملل وضعفت الهمة وفُتحت أبواب الذنوب. فلنصنع لأنفسنا مشاريع إيمانية، أو نخصص أوقاتاً لحفظ القرآن، أو قراءة الكتب، حتى نبقي على تواصل دائم مع الخير.

## ٦. التنقل بين العبادات وتجديد العلاقة مع الله

إن وجدنا أنفسنا نتكاسل عن تلاوة القرآن، فلنستمع إليه، وإن وجدنا صعوبة في الصلاة بخشوع، فلنرفع أيدينا بالدعاء، وإن لم نجد رغبة في الدعاء، فلنردد الأذكار. المهم ألا نترك القلب فارغاً، بل نبقيه موصولاً بالله ولو بخطوات صغيرة.

## ٧. النهل من منابع الإيمان وتجديد الصلة بالله

حين يخفت نور القلب، فإن خير ما يعيده إلى الاشتعال هو العلم النافع والكلمات التي توقظه من غفلته. فلنجعل لنا ورداً من قراءة التفاسير التي تفتح لنا آفاقاً جديدة لفهم القرآن، ولنبحر في كتب ترقيق القلوب التي تُعيد أرواحنا إلى نقائها الأول. ولنتعرض لنسمات الإيمان من المقاطع الدعوية والمحاضرات التي تملأ القلب حباً لله، وتُذكّره بلذة الطاعة ومعنى القرب منه. فالقلب يحتاج إلى غذاء مستمر، وإن لم نُغذّه بالإيمان، تراجع وانطفأ.

## ٨. تذكّر الدرجات عند الله والسعي لبلوغها

يقول الله تعالى:

{هُمْ دَرَجَتٌ عِنْدَ اللَّهِ}¹

¹ آل عمران ١٦٣

فكل واحد منا في مرتبة، والسؤال: أين نحن؟ وأين نريد أن نكون؟  
فلنرفع أعيننا إلى الدرجات العليا، ولنجاهد أنفسنا حتى نبلغها، فالمجد  
لا يُدرك براحة، والقرب لا يُنال بتكاسل.

### ومضة

الفتور ليس النهاية، بل هو استراحة محارب، فإذا أن نهض بعده  
بروح أقوى، أو نسمح له أن يسحبنا للخلف.  
فلنتعامل معه بحكمة، ولنستعين بالله، فكل لحظة نقضيها في  
المجاهدة، هي خطوة نحو الله، وخطوة نحو جنان الخلود.



## التنوع في العبادات

العبادة ليست طريقًا واحدًا، بل أبوابٌ متعددة، ورحمةٌ واسعة تفيض  
بأنوار القرب من الله. ففي كل حالٍ تمر به أرواحنا، هناك عبادة تناسبها،  
وفي كل ضعفٍ يصيب قلوبنا، هناك بابٌ يُفتح لنا لنعود أقوى وأقرب.

فكيف نستثمر هذا التنوع لنحيا رمضانًا عامرًا بالطاعة والسكينة، ونجد في  
كل لحظة بابًا مفتوحًا للقرب منه، مهما تبدلت أحوال قلوبنا؟

## عبادة تناسب كل حال

هل تأملت يوماً في نعمة أن الله هو خالقنا، العليم بخبايا نفوسنا وتقلبات قلوبنا؟

يعلم ضعفنا ونقصنا، وهو اللطيف بنا في كل أحوالنا، يرانا حين نقبل عليه بشوق، وحين تفتت أرواحنا وتتثاقل جوارحنا. ومن رحمته أنه لم يجعلنا أمام طريق واحد للعبادة، بل فتح لنا أبواباً متعددة، وجعل لكل قلب نافذته التي يطل منها على نور الإيمان، ولكل روح سبيلها الذي تسلكه لتصل إليه.

- ففي الأوقات التي ترهقنا فيها الدنيا وتثقلنا همومها، نجد الراحة في الصلاة، متذكرين قوله صلى الله عليه وسلم:  
(يا بلال! أقم الصلاة، أرحن بها).<sup>١</sup>
- وحينما تتعطش قلوبنا إلى كلام الله، نرتل آياته سبحانه، ونغوص في كنوزه، فتمتلئ أرواحنا بالنور والطمأنينة.
- وإذا ضعفت هممنا عن القيام، وخفت شوقنا للعبادة، يكون ذكر الله حياة لقلوبنا وتجديداً لنشاطنا:  
{أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ}.<sup>٢</sup>
- وحينما نبحت عن نفحات الرحمة والمغفرة، نجدها في الاستماع إلى آيات الله بصوت خاشع ندي، لقوله تعالى:  
{وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ}.<sup>٣</sup>

<sup>١</sup> صحيح الجامع

<sup>٢</sup> الرعد ٢٨

<sup>٣</sup> الأعراف ٢٠٤

هكذا تنتقل بين العبادات، نطرق كل باب يناسب حالنا، ونستظل في كل محطة بما يروي أرواحنا من نفحات الإيمان. فلا نحمل أنفسنا فوق طاقتها، ولا نجبرها على عبادة واحدة دون غيرها، بل نمنحها مساحة للتنقل بين العبادات، كما أراد لنا الله من التيسير والرحمة.

### التنوع في العبادات: هدي نبوي

لكن هذا لا يعني أن نكتفي بنوع من العبادات ونهمل غيره، بل نتعلم من هدي نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، الذي كان يوازن بين أنواع العبادات، خاصة في رمضان، حيث تتضاعف الأجور، وتتفتح أبواب الخير.

يقول ابن القيم:

(وكان من هديه - صلى الله عليه وسلم - في شهر رمضان: الإكثار من أنواع العبادات، فكان جبريل - عليه السلام - يدارسه القرآن في رمضان، وكان إذا لقيه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة، وكان أجود الناس، وأجود ما يكون في رمضان، يكثر فيه الصدقة، والإحسان، وتلاوة القرآن والصلاة والذكر، والاعتكاف، وكان يخص رمضان من العبادة ما لا يخص غيره به من الشهور).<sup>١</sup>

وفي موضع آخر، يصف ابن القيم كرم النبي صلى الله عليه وسلم فيقول: (وكان العطاء والصدقة أحب شيء إليه، وكان سروره وفرحه بما يعطيه أكثر من سرور الآخذ، وكان أجود الناس بالخير بيمينه كالريح المرسلة).<sup>٢</sup>

فكيف سنجود بالخير في شهر الخيرات؟ وعلى أي العبادات سنحرص؟ وبأي عمل سنبدأ رحلتنا الروحانية هذا العام؟ وهل سنجعل رمضان محطة للتنوع في العبادات، أسوة برسولنا الحبيب صلى الله عليه وسلم؟

---

<sup>١</sup> زاد المعاد

<sup>٢</sup> زاد المعاد

## بداية الطريق: استحضار النية

لكن قبل أن نبدأ ...

هل تفكرنا في نياتنا؟ هل استحضرننا "روح العبادة"؟ تلك الروح التي إن  
فقدناها، تحوّل العمل إلى جهد بلا أثر، وحركة بلا معنى؟

فهيا بنا لننعش أرواحنا بنبذة عن بعض العبادات، ونتلمس طريقنا نحو الله،  
بكل ما يحمله رمضان من نفحات ورحمة.

## الصلاة قرّة عين المؤمنين

الصلاة هي نبع السكينة، ومأوى القلب المشتاق، ونور يتلأل في ليالي رمضان، فهي قرّة عين المحبين كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: (وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ)<sup>١</sup>.

حين نقف في التراويح وقيام الليل، ونشعر بأرواحنا تحلق في رحلة إيمانية تسمو بها إلى عنان السماء، ندرك معنى القرب من الله، ذلك القرب الذي تخشع له القلوب، وتبتهج به الأرواح، وتذرف معه الدموع في سعادة لا مثيل لها.

يقول ابن القيم رحمه الله:

(لا ريب أن الصلاة قرّة عُيُون المحبين، ولذة أرواح الموحدين، وبستان العابدين ولذة نفوس الخاشعين، ومحك أحوال الصادقين، وميزان أحوال السالكين، وهي رحمةُ الله المهداة إلى عباده المؤمنين، هداهم إليها، وعَرَّفهم بها، وأهداها إليهم على يد رسوله الصادق الأمين، رحمة بهم، وإكراماً لهم؛ لينالوا بها شرف كرامته، والفوز بقربه، ... ، وجعل حظ القلب العارف منها أكمل الحظين وأعظمهما؛ وهو إقباله على ربّه سبحانه، وفرحه وتلذذه بقربه، وتنعمه بحبه، وابتهاجه بالقيام بين يديه، وانصرافه حال القيام له بالعبودية عن الالتفات إلى غير معبوده، وتكميله حقوق عبوديته ظاهراً وباطناً حتى تقع على الوجه الذي يرضاه ربه سبحانه) [ذوق الصلاة].

ولكن... هل غفلنا عن شيء؟

في وسط هذا الانسجام الروحاني، هل افتقدنا نبعنا الأساسي؟  
تُرى، ما هو؟

---

<sup>١</sup> رواه أحمد

## إنها صلاتنا المفروضة

حين نبذل جهدنا لنخشع في صلاة التراويح والقيام، لماذا نغفل عن الفريضة، وهي أولى بالخشوع والسكينة؟  
أليست هي أول ما سنحاسب عليه يوم القيامة؟ أليست هي التي قال عنها حبيبنا المصطفى:  
(يا بلال أقم الصلاة، أرخنا بها)<sup>١</sup>

فلننتبه، ولا نسمح للشيطان أن يوهمنا أن لذة الإيمان تكمن في النوافل وحدها.  
فالصلاة المفروضة هي الأساس، وهي التي ستبقى معنا بعد رمضان، حين يفتر الحماس وتضعف الهمة عن النوافل.

وهذا لا يعني أن نهمل النوافل، فهي حصننا المنيع من الفتور والانتكاس، وهي الباب الذي يرفعنا إلى درجات القرب والجنان. ألم يقل النبي صلى الله عليه وسلم لربيعة بن كعب الأسلمي رضي الله عنه حين سأله مرافقته في الجنة:  
(فأعني على نفسك بكثرة السجود)<sup>٢</sup>.

## علاقة الحب الحقيقية مع الصلاة

من أرقى صور القرب أن نكون نحن من ينتظر الصلاة لنقف بين يدي الله، لا أن يكون هو من ينتظرنا.

<sup>١</sup> رواه أبي داود

<sup>٢</sup> رواه مسلم

حينما تتشوق قلوبنا للمناجاة، سنحافظ على الصلاة في أول وقتها، لأنها لقاء نشاق إليه، ولأننا لا نطبق تأخير لحظة. أما من يؤخرها بلا عذر، فكأن لسان حاله يقول:

"الصلاة تنتظرنى... متى ما انتهيت من مشاغلي سأذهب إليها."

ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم:  
(أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ الصَّلَاةُ فِي أَوَّلِ وَقْتِهَا)<sup>١</sup>.

فليس هناك عمل يُقَرِّبنا إلى الله أعظم من أن نسارع للقائه، متلهفين لمناجاته، محبين لوصله في كل حين.

### ومضة

فيا لها من عبادة عظيمة! قُرَّةُ عَيْنٍ، وراحةٌ روح، وانتظارٌ مفعم بالشوق والاشتياق.

فلنجعلها سر سعادتنا، ونور أيامنا، وحبلاً لا ينقطع بيننا وبين ربنا.

---

<sup>١</sup> رواه البخاري ومسلم

## النوافل... طريق المحبين إلى الله

لكل محب وسيلة للتقرب إلى محبوبه، فكيف بنا ونحن نرغب في القرب من الله عز وجل؟

يخبرنا الله في الحديث القدسي بطريقة تلامس القلوب:  
(وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته، كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه)<sup>١</sup>.

يا الله! أي حب أعظم من هذا؟ أن يمنحك الله قربه، فيكون نور سمعك وبصرك وحركتك، فتتحرك في الدنيا بروح موصولة به، لا ترى ولا تسمع ولا تفعل إلا ما يحب ويرضى.

لكن كيف نصل إلى هذه الدرجة من القرب؟

### البداية من الفرائض

يبدأ الطريق من أعظم ما يحبه الله، وهو أداء الفرائض، فهي المقياس الحقيقي لصدق رغبتنا في القرب منه:

- كيف حالنا مع الصلاة؟ هل نؤديها بحب وخشوع، أم أنها أصبحت عادة بلا روح؟
- وكيف هو صيامنا؟ هل نستشعر فيه تركية الروح وتقوى القلوب، أم أنه مجرد امتناع عن الطعام والشراب؟

---

<sup>١</sup> رواه البخاري



- وهل نؤدي زكاتنا بفرح العطاء، ونشتاق للحج والعمرة كما يشواق المحب إلى لقائه محبوبه؟

### ثم تأتي النوافل... باب القرب الأعظم

وحين نثبت صدقنا في الفرائض، تفتح لنا أبواب النوافل، فتكون سبيلنا إلى محبة الله:

(وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه).

لم يحدد الله لنا طريقاً واحداً، بل جعل لنا أبواباً كثيرة، كلٌّ ينهل منها بما يروي ظمأ قلبه:

- هناك من يجد روحه في قيام الليل، حيث تنساب دموعه خشوعاً في لحظات القرب.

- وهناك من يأنس بالصيام، فيداوم على الإثنين والخميس أو الأيام البيض، فيشعر بنقاء الروح.

- وهناك من يسلك طريق الصدقة، فينفق بحب كما كان نبينا صلى الله عليه وسلم أجود بالخير من الريح المرسلة.

ولكل قلبٍ مفتاحه، فلننظر: في أي باب نجد شوقنا؟ وأي عبادة تحرك أرواحنا؟

لنبدأ منها، ونداوم عليها، حتى تفيض علينا محبة الله، فنكون ممن يُستجاب دعاؤهم، ويؤمنون حين يخافون.

اللهم اجعلنا ممن أحببتهم، فكنت لهم نوراً وهدىً وقرباً لا يفارق أرواحهم أبداً.

## الدعاء: لذة المناجاة وسر العبودية

حين يأتي الليل بسكونه، يتناجى المحبون بعيدا عن أعين الناس، يتبادلون الهمسات والكلمات في لحظات من القرب والأنس. وهكذا هو حال المؤمن مع ربه حين يرفع يديه بالدعاء، يناجيه، يحدثه بما في قلبه، يفضي إليه بأسراره، يروح له بأمانيه، يبثه همومه، كما يفضل مع أحب الناس إليه.

لكن ... ماذا لو علمنا أن الله سبحانه هو من ينتظرنا؟  
هو من ينادي علينا كل ليلة ليحيب سؤلنا، ويجبر خواطرنا، ويمسح عنا ما يثقل أرواحنا.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:  
(ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر، يقول: من يدعوني فأستجيب له من يسألني فأعطيه من يستغفرني فأغفر له).<sup>١</sup>

يا الله! ملك الملوك ينادينا كل ليلة، ينزل إلى السماء الدنيا رحمة وكرما، لا حاجة إلينا، بل ليكون معنا في وحدتنا، يجبر كسر قلوبنا، ويغفر ذنوبنا، ويستجيب دعواتنا.

فهل سنلبي هذا النداء؟ أم سنعرض عن هذه الفرصة العظيمة؟

### كيف ندعو الله؟

كما نتعلم فنون الحديث مع البشر، وكسب قلوبهم، فإن للدعاء آدابا وأسرارا تزيد من قربنا لله، وتكون سببا في استجابة دعواتنا.

---

<sup>١</sup> رواه البخاري

وقد لخصها النبي صلى الله عليه وسلم بقوله:  
(إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ فَلْيَبْدَأْ بِتَحْمِيدِ اللَّهِ تَعَالَى، وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ، ثُمَّ لِيُصَلِّ عَلَى النَّبِيِّ،  
ثُمَّ لِيَدْعُ بَعْدُ بِمَا شَاءَ)<sup>١</sup>.

فلنغص في هذا الترتيب الجميل، ولنرتب كلماتنا بين يدي الله كما يحب:

١. نبدأ بالثناء على الله ومدحه  
بأسمائه الحسنی وصفاته العلی، فله الحمد كله، وهو أهل المدح  
والثناء.
٢. نذكره سبحانه بما يُحب:  
التهليل (لا إله إلا الله)،  
والتسبيح (سبحان الله)،  
والتكبير (الله أكبر)،  
والحوقلة (لا حول ولا قوة إلا بالله)،  
والاستغفار (اللهم اغفر لي).
٣. نصلي على النبي صلى الله عليه وسلم  
فهي مفتاح الإجابة، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:  
(كُلُّ دُعَاءٍ مَحْجُوبٌ حَتَّى يُصَلَّى عَلَى النَّبِيِّ)<sup>٢</sup>
٤. نشكر الله على نعمه  
فالشكر مفتاح لمزيد من العطايا، يقول الله تعالى:  
{لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ}<sup>٣</sup>.

---

<sup>١</sup> رواه الترمذي

<sup>٢</sup> السلسلة الصحيحة

<sup>٣</sup> إبراهيم ٧

٥. نستغفر الله بصدق  
فالتوبة تمهد الطريق لاستجابة الدعاء، وتطهر القلب من كل ما يحجبه  
عن النور.
٦. نفضي إليه بأسرار قلوبنا  
كما نفضض لأحب الناس إلينا، فلنخبره بهمومنا، ولنبوح له بكل ما  
نشعر به.  
هو أقرب إلينا من حبل الوريد، يسمعنا ويعلم ما في صدورنا، لقوله  
تعالى:  
{وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ}¹.  
٧. ندعو بدعوات جامعة مباركة  
ولنبداً بما ورد في القرآن والسنة، كقول نبي الله إبراهيم عليه السلام:  
{رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ}².  
٨. نخصص الدعاء لأنفسنا بروح تعبدية  
فلنحرص على أن تكون أدعيتنا موصولة بالله، فنقول:  
"اللهم ارزقني العلم النافع، ليكون نورا لي في الدنيا والآخرة"  
"اللهم ارزقني ذرية صالحة تكون قرّة عين، واجعلنا من عبادك  
الصالحين"  
"اللهم أعني على حفظ كتابك، لأرتله غيبا في جوف الليل حين أقف  
بين يديك".  
٩. ندعو لأحبابنا وأمتنا  
فالمؤمنون كالجسد الواحد، يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم:

¹ ق ١٦

² إبراهيم ٤٠

(ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد، إذا اشتكى عضو تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى)<sup>١</sup>.

١٠. نختم بالصلاة على النبي  
فهو مسك الختام، ومن أسرار استجابة الدعاء.

### الدعاء عبادة قبل أن يكون طلباً

حينما نرفع أكف الضراعة إلى الله، لا نفعل ذلك فقط طمعاً في تحقيق  
الأمنيات، بل لأن الدعاء هو جوهر العبودية وروحها.

يقول صلى الله عليه وسلم:  
(الدعاء هو العبادة)<sup>٢</sup>.

في هذه الكلمات النبوية المختصرة سر عظيم...

فالدعاء ليس مجرد طلب، بل مظهر من مظاهر التوحيد والخضوع، وعلامة  
الافتقار إلى الله، واستشعار لحقيقة العبودية بين يديه. كلما ازددنا خشوعاً  
وثقةً، ازددنا قرباً واستجابة.

يقول النبي صلى الله عليه وسلم:  
(إن ربكم تبارك وتعالى حييُّ كريم، يستحي من عبده إذا رفع يديه إليه أن  
يردهما صَفراً)<sup>٣</sup>.

سبحان الله! الله يستحي أن يرد عبده خائباً، رغم أننا نحن المقصرون في  
حقه!

---

<sup>١</sup> رواه البخاري

<sup>٢</sup> رواه الترمذي

<sup>٣</sup> رواه أبي داود

فما الذي يجعلنا نظن أن دعاءنا قد يُهمل أو يُترك؟ كيف لا نثق بإجابته، وهو أكرم الأكرمين؟

**سر استجابة الدعاء: الثقة بالله والانكسار بين يديه.**

أحياناً، عندما ندعو الله بصدق، نشعر أن شيئاً مختلفاً يحدث بداخلنا... كأن أرواحنا وُلدت من جديد، وكأن جبال الهموم قد زالت فجأة.

هذه اللحظات ليست لحظات ضعف، بل لحظات قوةٍ إيمانية.

إنها اللحظات التي ندرك فيها أننا لا نملك من أمرنا شيئاً، وأننا لا نلجأ إلا لله وحده، فنفهم عندها معنا:

"لا حول ولا قوة إلا بالله" بكل جوارحنا.

وحين نوقن أن الله يختار لنا الخير، حتى إن لم يأتِ الدعاء كما طلبنا، فإننا ندرك أنه سبحانه لا يردُّنا، بل يمنحنا خير لنا، وإن لم ندرك ذلك في حينه.

فما أعظم الدعاء حين يكون وسيلتنا للأنس بالله، لا مجرد وسيلة لتحقيق المطالب!

ولنتذكر دائماً... سر استجابة الدعاء لا يكمن فقط في الألفاظ، بل في انكسار القلب بين يدي الله، وثقتنا المطلقة في رحمته وحكمته.

**أوقات إجابة الدعاء: نوافذ مفتوحة إلى السماء**

من رحمته سبحانه أنه فتح لنا في كل وقت نافذة إلى السماء، نطرقها بأمل، ونرسل عبرها أمانينا ونجوانا.

فلنتأمل هذه الأوقات المباركة، ولنحجز فيها لحظات خلوة مع الله:

١- عند الإفطار للصائم:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:  
(ثلاثة لا ترد دعوتهم، الصائم حين يفطر والإمام العادل، ودعوة  
المظلوم يرفعها الله فوق الغمام)<sup>١</sup>.

وفي حديث آخر قال:

(إن للصائم عند فطره دعوة لا ترد)<sup>٢</sup>.

لحظات الإفطار هي أوقات قربي وتودد وتحقيق للأمنيات.

٢- بين الأذان والإقامة:

قال صلى الله عليه وسلم:

(لا يرد الدعاء بين الأذان والإقامة)<sup>٣</sup>.

لحظات قصيرة لكنها ذهبية! فلنغتنمها بطلب ما نتوق إليه أرواحنا.

٣- في السجود:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

(أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا الدعاء)<sup>٤</sup>.

حين تلامس الجبهة الأرض، تكون الروح في أعلى مراتب القرب... فنكثر  
فيها المناجاة.

٤- بعد الصلوات المكتوبة:

سئل النبي صلى الله عليه وسلم: (أي الدعاء أسمع؟

قال: جوف الليل، ودبر الصلوات المكتوبات)<sup>٥</sup>.

---

<sup>١</sup> رواه الترمذي

<sup>٢</sup> رواه ابن ماجه

<sup>٣</sup> رواه الترمذي

<sup>٤</sup> رواه مسلم

<sup>٥</sup> رواه الترمذي

كل صلاة هي فرصة جديدة لمحو الذنوب، وتحقيق الأمان، فلنجعلها  
موعداً ثابتاً للدعاء!

٥- في الثلث الأخير من الليل:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

(ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل  
الآخر يقول: من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من  
يستغفرني فأغفر له).<sup>١</sup>

وفي حديث آخر قال:

(إن في الليل ساعة لا يوافقها مسلم، يسأل الله خيراً من أمر الدنيا  
والآخرة، إلا أعطاه إياه، وذلك كل ليلة).<sup>٢</sup>

كم مرة مر علينا هذا الوقت ولم نكن فيه من السائلين؟  
فلنحرص على أن نكون ممن يلبون هذا النداء الرباني.

٦- في ساعة يوم الجمعة:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن يوم الجمعة:

(فيه ساعة، لا يوافقها عبد مسلم، وهو قائم يصلي، يسأل الله تعالى  
شيئاً، إلا أعطاه إياه، وأشار بيده يقللها).<sup>٣</sup>

هي ساعة خفية، لكنها كنز لمن يبحث عنها...

فلنحرص أن نكون ممن ينالون بركتها.

٧- وعند نزول المطر، وسماع الأذان، وفي لحظات الاستيقاظ ليلاً...

نزل المطر هو لحظة رحمة، فلتكن لحظتنا مع الله.

سماع الأذان هو نداء السماء، فلنجب الدعوة ونرفع الدعاء.

<sup>١</sup> رواه البخاري

<sup>٢</sup> رواه مسلم

<sup>٣</sup> رواه البخاري



الاستيقاظ ليلاً قد يكون تذكيراً لنا بأن الله ينتظر دعاءنا... فلنستغلها.  
كلها لحظات ربانية تفتح فيها أبواب الرحمة، فلنكن من الذين يملئون  
أوقاتهم بالدعاء، ولا نترك ساعة تمر إلا وقد رفعنا فيها أمنيائنا إلى  
السماء.

**ومضة: هدايا لا تُرى، لكنها تصل السماء!**

وأخيراً... لا تحرموني من دعوة صادقة في ظهر الغيب،

فقد قال صلى الله عليه وسلم:

(إذا دعا الرجل لأخيه بظهر الغيب، قالت الملائكة: آمين، ولك بمثل).<sup>١</sup>

فما أجمل أن نمنح بعضنا البعض هدايا لا تُرى، لكنها تُرفع عند أكرم الأكرمين  
في السماء، وتُستجاب في اللحظة التي نحتاجها دون أن نعلم!

---

<sup>١</sup> رواه أبي داود

## الأذكار: نبع القلوب وروح الحياة

في مقالة "الصدق مع الله"، تحدثت عن أن الحب الصادق يبدأ بيقين في القلب، ثم يترجمه اللسان، لتتسابق بعد ذلك الجوارح إلى العمل بشوق وسعادة.

والذكر هو الترجمان الحقيقي لما في القلب؛ فكلما ازداد حبنا لله، وامتلأت أرواحنا بالشوق إليه، تحركت ألسنتنا بذكره آناء الليل وأطراف النهار.

وقد روي أن رجلاً قال:

(يا رسول الله، إن شرائع الإسلام قد كثرت علي، فأخبرني بشيء أتشبث به، قال: لا يزال لسانك رطبا من ذكر الله)<sup>١</sup> [الترمذي]

هل تأملنا هذا التشبيه البديع للمتعطش للقرب من الله؟ مثل تائه في صحراء أرهقه العطش، يبحث عن قطرة ماء تروي ظمأه، كذلك هي أرواحنا التي تلهث وسط مشاغل الحياة، لا تهدأ ولا تطمئن إلا حين ترتوي بذكر الله.

## الذكر هو مقياس مقامنا عند الله

يقول الشيخ محمد المختار الشنقيطي:  
(أعظم الغفلة أن يغفل الإنسان عن مقامه عند ربه، إذا أردت أن ترى مقامك عند الله فانظر إلى حرصك على ذكر الله).

<sup>١</sup> رواه الترمذي

ويقول ابن القيم في لفظة عميقة:  
(بالذكر يَصْرَع العبد الشَّيْطَان، كما يَصْرَع الشَّيْطَان أهل الغفلة والنسيان.  
قال بعض السَّلف: إذا تمكَّن الذكر من القلب، فإن دنا منه الشَّيْطَان صرعه  
كما يُصْرَع الإنسان إذا دنا منه الشَّيْطَان)<sup>١</sup>

فالذكر ليس مجرد كلمات نرددها، بل هو حصن يحمي القلب، ومفتاح يزيدنا  
قرباً من الله، وطريق لاستشعار معيته في كل لحظة من حياتنا.

وهو أيضاً باب من أبواب الزيادة في القرب، فقد وعدنا الله بذلك حين قال:  
{فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ}<sup>٢</sup>.

يا الله! أن نكون في ذكر دائم لله، فيكون سبحانه في ذكر دائم لنا في الملاء  
الأعلى، يثني علينا، ويقربنا منه، ويحيطنا برحمته. فهل هناك نعمة أعظم من  
ذلك؟

### ثمرات الذكر على القلوب

ذكر الله هو ماء الحياة لأرواحنا، ومفتاح الطمأنينة والسعادة. لكل ذكر أثره  
العميق، ولكل كلمة نور يشع في القلب:

التهليل (لا إله إلا الله)

يغرس في القلب معنى التوحيد الخالص، ويعزز اليقين بالله، ليصبح هو وحده  
ملجأنا، هو رجاؤنا، هو ملاذنا الذي لا نرى غيره في قلوبنا إلهاً بحق.

---

<sup>١</sup> مدارج السالكين

<sup>٢</sup> البقرة ١٥٢

### التسبيح (سبحان الله)

يزرع في أرواحنا تنزيه الله عن كل نقص، ويجعلنا نوقن بعظمته وجلاله، فلا نشك لحظة في حكمته، ولا نقلق على تدبيره لأمر حياتنا.

### التكبير (الله أكبر)

حين نرددها، تمتد قلوبنا إلى أفق أوسع، فكل هم يضيق علينا، وكل بلاء يخيفنا، وكل مشكلة تستهلك طاقتنا... تصبح أصغر حين نتذكر أن الله أكبر منها جميعا.

### الحوقلة (لا حول ولا قوة إلا بالله)

فيها نفوض أمرنا كله لله، وإقرار بأننا لا نملك لأنفسنا نفعا ولا ضرا ونتبرأ من حولنا وقوتنا، فنتراح من عناء التعلق بالأسباب، ونسلم أمرنا لمدير الأكوان، فتهدأ أرواحنا وتسكن قلوبنا.

### أعظم هدية

كل هذا يرافقه هدية أعظم من كل الثمرات! إنها ذكر الله لنا في الملأ الأعلى!

يقول حبيبنا المصطفى صلى الله عليه وسلم، في الحديث القدسي:  
(يقول الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه، ذكرته في نفسي وإن ذكرني في ملأٍ ذكرته في ملأٍ خير منهم)<sup>١</sup>.

يا الله! أن يذكرنا الله في نفسه! أن يذكر أسماءنا في الملأ الأعلى! أي شرف أعظم من ذلك؟

أي كرامة أرفع من أن تكون قلوبنا عامرة بذكر الله، فيكون سبحانه هو من يذكرنا عند ملائكته؟

<sup>١</sup> متفق عليه

## كيف نجعل يومنا معمورا بالذكر؟

إذا تأملنا تفاصيل يومنا، سنجد عشرات اللحظات التي يمكن أن نحياها بالذكر من خلال ربطها بأعمال مشابهة لها، فنكون في وصال دائم مع الله:

- عند ترتيب البيت وتنظيفه:  
نردد الاستغفار، فنظهر قلوبنا كما نظهر بيوتنا، راجين من الله أن يحو ذنوبنا، كما ينقي الثوب الأبيض من الدنس.
- أثناء إعداد الطعام:  
نحمد الله على نعمه، ونسأله البركة في رزقنا، متذكرين وعده سبحانه: {لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ}¹.
- في لحظات الانتظار:  
سواء كنا في المواصلات أو ننتظر دورنا في المستشفيات، يمكن أن نسبح الله، أو نستغفر، أو نتأمل في ملكوته، فنرى في كل شيء بصمة قدرته، ونردد بقلوب خاشعة: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم.
- في لحظات التعب والإنهاك:  
حين تثقلنا مسؤوليات الحياة، يمكن أن نردد:  
لا حول ولا قوة إلا بالله،  
فنستمد العون منه وحده، ونرتاح من عناء الشعور بالضعف والعجز.  
وحين نُعوّد أرواحنا على الذكر في كل وقت، ستجد أنها لم تعد تحتمل الغفلة، بل أصبحت تشتاق إلى لحظات الخلوة والمناجاة.

---

¹ إبراهيم ٧

## همسة: خمسة دقائق تكفي

حين نتذوق حلاوة الذكر، يصبح جزءًا من حياتنا، لا نطيق فراقه.

- سنجد أنفسنا نتسلل بعيدًا عن أعين الناس، لنختلي بالله، كما يختلي المحب بحبيبه، نبثه شوقنا، ونناجيه في سرّنا، ونروي ظمأ أرواحنا...
- خمس دقائق فقط من الذكر الصادق، لكنها تكفيها لنصمد ساعةً أخرى، حتى نعود إليه من جديد.

### حفظ الجوارح... طريق إلى الله

ترتبط أعمال الجوارح ارتباطا وثيقا بما تحويه قلوبنا، فالقلب هو القائد، والجوارح جنوده التي تنفذ أوامره. فكلما كان القلب عامرا بالإيمان، انعكس ذلك على سلوكنا، فتلاأت جوارحنا بنور الطاعة.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية:

(القلب هو الأصل، فإذا كان فيه معرفة وإرادة سرى ذلك إلى البدن بالضرورة، لا يمكن أن يتخلف البدن عما يريده القلب؛ ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح: (ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح لها سائر الجسد، وإذا فسدت، فسد لها سائر الجسد، ألا وهي القلب)).<sup>١</sup>

لكن كيف نصلح قلوبنا؟

كيف نجعلها تنبض بحب الله، فتنقاد الجوارح طوعا لما يحبه ويرضاه؟

### بالمعرفة... تحيا القلوب

حتى تحلق قلوبنا في سماء الإيمان، لا بد لها من المعرفة: أن نعرف الله، وما يحبه وما لا يحبه، فنغرس في أرواحنا يقينا يثمر شوقا إليه، وإرادة صادقة للقرب منه.

وعندها ستنقاد الجوارح تلقائيا نحو الطاعة، وتمتنع عن المعصية لا خوفا ولا كرها، بل حبا لله وطمعا في رضاه.

فهل عقدنا العزم على أن يكون حفظ جوارحنا وسيلة للتقرب إلى الله؟

---

<sup>١</sup> مجموع الفتاوى

- ماذا عن أبصارنا؟

- هل نوينا غضها عن الحرام، فلا تمتد إلى ما لا يحل لنا؟
  - هل قررنا ألا نتطلع إلى ما في أيدي غيرنا، فنحفظ قلوبنا من الغل والحسد؟
- {قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ}¹.

- وماذا عن أسماعنا؟

- هل اخترنا أن نحفظها من الغيبة والنميمة؟
  - هل قررنا أن نبُعدها عن كل ما يطفئ نور القلب من لغو ولهو؟
  - هل ملأناها بكلام الله وذكره؟
- {وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ}².

- وألسنتنا؟

- هل جعلنا لها سياجًا من التقوى، فلا تنطق إلا بما يرضي الله؟
  - هل عقدنا العزم على أن نكفها عن الخوض فيما يغضبه؟
- {وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا}³

- وأيدينا؟

- هل حرصنا على ألا تمتد إلا لما يحبه؟
- ألا تمس ظلما، وألا تنشغل بما يبعدنا عن الله؟

¹ النور ٣٠

² القصص ٥٥

³ البقرة ٨٣



- وأقدامنا؟

- هل عزمنا ألا تحملنا إلا إلى مواطن الخير؟
- ألا تسوقنا إلى أماكن الفتن والمعاصي؟

لنقف مع أنفسنا بصدق، ونجدد العهد مع الله...

كل خطوة نخطوها في حفظ جوارحنا، هي خطوة تقربنا إليه، وتثير لنا طريق الوصول إلى رضاه.

فلنكن ممن قال الله فيهم:

{وَيَحْفَظُونَ أَلْسِنَتَهُمْ}¹.

{وَيَغْضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ}².

{وَيَحْفَظُونَ فُرُوجَهُمْ}³.

واجعل اللهم جوارحنا كلها طاهرةً، شاهدةً لنا لا علينا يوم نلتاك.

---

¹ المائدة ١٠٨

² النور ٣٠

³ المؤمنون ٥

## الصدقات: روح العطاء وسر البركة

للصدقة سحر عجيب يسلب القلوب، لأنها تجسد روح العطاء والاهتمام، وتترجم المعروف والإحسان إلى أفعال ملموسة.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:  
(كُلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ)<sup>١</sup>،

ويؤكد ذلك في حديث آخر بقوله:  
(على كل مسلم صدقة،

فقالوا: يا نبي الله، فمن لم يجد؟  
قال: يعمل بيده، فينفع نفسه ويتصدق،

قالوا: فإن لم يجد؟

قال: يعين ذا الحاجة الملهوف،

قالوا: فإن لم يجد؟

قال: فليعمل بالمعروف، وليمسك عن الشر فإنها له صدقة.<sup>٢</sup>

ما أوسع أبواب الصدقة! وما أجمل أن نزين بها أيامنا!  
فهل جربنا الغوص في معانيها، واستشعار بركتها في حياتنا؟

**أبواب الصدقة ... عطاء بلا حدود**

### الكلمة الطيبة

كم من كلمة طيبة جبرت خاطرا مكسورا، أو أضاءت يوما مظلمًا!  
يقول صلى الله عليه وسلم:

---

<sup>١</sup> رواه البخاري

<sup>٢</sup> رواه البخاري

(الكلمة الطيبة صدقة)<sup>١</sup>.

### الابتسامة

ابتسامة صادقة قد تكون بلسماً لقلب حزين، ونوراً وسط العتمة، وعبير ينتشر أثره في الأرجاء،  
قال النبي صلى الله عليه وسلم:  
(تبسُّمُك في وجه أخيك صدقةٌ لك)<sup>٢</sup>

### المشي إلى الصلاة

حتى خطواتنا إلى بيوت الله ليست مجرد حركة، بل كل خطوة منها صدقة تُكتب لنا.  
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:  
(وكل خطوة تمشيها إلى الصلاة صدقة)<sup>٣</sup>.

### المشاركة والإيثار:

كل عطاء نبذله، ولو كان بسيطاً، له أجرٌ عظيم، سواء كان مالاً، جهداً، أو حتى كلمة طيبة.  
قال النبي صلى الله عليه وسلم:  
(إذا أنفق الرجل على أهله يحتسبها فهو له صدقة)<sup>٤</sup>.  
وقال أيضاً:  
(وإفراغك من دلوك في دلو أخيك لك صدقة)<sup>٥</sup>.

---

<sup>١</sup> رواه ابن خزيمة

<sup>٢</sup> رواه ابن حبان

<sup>٣</sup> رواه ابن خزيمة

<sup>٤</sup> رواه البخاري

<sup>٥</sup> رواه ابن حبان

### إمطة الأذى عن الطريق

إزاحة حجر صغير أو شوكة عن طريق الناس قد يبدو أمرًا بسيطًا، لكنه عند الله صدقة عظيمة.

قال صلى الله عليه وسلم:

(وميط الأذى عن الطريق صدقة)<sup>١</sup>.

### الصدقة دواء القلوب والأبدان:

حتى علاج المرضى يمكن أن يكون بالبذل والعطاء،

قال النبي صلى الله عليه وسلم:

(داؤوا مَرَضَكُم بِالصَّدَقَةِ)<sup>٢</sup>

### الصدقة في رمضان... مضاعفة الأجور

إذا كانت الصدقة عظيمة في كل وقت، فإن فضلها في رمضان لا يُضاهى!

فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يدارسه جبريل القرآن.

يقول ابن عباس رضي الله عنهما:

(فَلَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ يَلْقَاهُ جَبْرِيلُ أَجودُ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ)<sup>٣</sup>.

فلنكن كرماء في شهر الكرم، ولنغتتم كل فرصةٍ للبذل والعطاء، لنجعل رمضان موسمًا يُكتب فيه اسمنا في ديوان الجود والمحسنين.

<sup>١</sup> رواه أحمد

<sup>٢</sup> صحيح الجامع

<sup>٣</sup> رواه البخاري

## العشر الأواخر من رمضان

ها قد حلت العشر الأواخر من رمضان، تلك اللحظات الساحرة التي تُعيد ترتيب قلوبنا وتُضيء دروبنا بنور التقوى. هل نحن مستعدون لاستقبال هذه الأيام المباركة بكل شوقٍ وتفانٍ، لننهل منها من نفحات الرحمة ونفتح صفحة جديدة مع الله؟

## السباق الأخير نحو الرحمة

ها قد انتصف رمضان، وبدأ الشهر يتناقص،  
وها هو الشهر قد اقترب من نهايته، والأبواب التي فُتحت في أوله، قد لا تبقى  
مفتوحة للأبد.

فهل نرى في نفحاته زادا من الإيمان أم لا تزال قلوبنا متعطشة؟

هنا ينادينا الله تعالى قائلا:

{قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ  
يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا}¹.

ينادينا بوعد إلهي، بأن الطريق أماننا ما زال مفتوحا، وأن رحمته تفيض علينا  
مهما قصرت أعمالنا؛ فلنعد إلى عهدنا بالسعي نحو مقام العبودية ولنجتهد  
فيما بقي من العشر الأواخر، فتلك هدية ربانية لمن أراد أن يكون من  
الفائزين.

وحين ننظر في حال النبي صلى الله عليه وسلم، سنجد أنه في هذه الأيام كان  
يزداد اجتهادا وتفرغا للعبادة، كما أخبرتنا أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها:  
(كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا دخل العشر شد مئزره وأحيا ليله وأيقظ  
أهله)².

لنتأمل هذه الكلمات...

- شد مئزره، أي استعد للعبادة بقلبه قبل جوارحه، وبجد واجتهاد،  
مبتعدا عن كل ما يشغله.
- أحيا ليله، أقام مع حبيبه بما يحيي القلوب من مناجاة وذكر وصلاة.

¹ الزمر ٥٣

² رواه البخاري

- أيقظ أهله، فهذه الأيام ليست كأي أيام، بل فيها ليلة خير من ألف شهر، وهذه الفرصة التي لا تتكرر، لا بد من مشاركة الأهل بها.

يقول الشيخ عبد العزيز الطريفي في ذلك:  
(انقطاع النبي صلى الله عليه وسلم في العشر بالاعتكاف، مع كونه يدير دولة الإسلام ويفتي الأنام والأمة تحتاج إليه، دليل على أن الأولى تأجيل المصالح لأجل هذه العشر).<sup>١</sup>

فهذه العشر هي أعظم ما نتزود منه في رمضان، وهي محطة إيمانية لآبائنا وأزواجنا وأبنائنا ليتزودوا منها بما يعينهم على تحمل مسؤولياتهم الشرعية من رعاية الأسرة وإصلاح المجتمع. لذا شرع في حقهم الاعتكاف، ولم يُشرع في حق النساء. وللمرأة أن تأخذ نصيبها من هذه الليالي المباركة بما يناسب تكاليفها وأحوالها.

### كيف نحیی العشر الأواخر؟

#### قيام الليل

هو الركن الأساسي لهذه الليالي العظيمة، حين نترك دفاء فراشنا ونقف بين يدي الله بخشوع وتضرع، نعيد ترتيب قلوبنا ونرتقي إلى مراتب الإحسان.  
قال النبي صلى الله عليه وسلم:

(من قام رمضان إيمانا واحتسابا غُفر له ما تقدم من ذنبه)<sup>٢</sup>  
ولأن قيام الليل يحتاج إلى مجاهدة النفس، كان أجره عظيما، إذ يُكفر الذنوب ويفتح أبواب القرب من الله. سئل الحسن البصري:  
(ما بال المتهجدین من أحسن الناس وجوها؟

---

<sup>١</sup> أسطر في العقل والنقل والفكر

<sup>٢</sup> رواه مسلم

فقال: لأنهم خلوا بالرحمن، فألبسهم من نوره نورا<sup>١</sup>.

وقد ذكر بعض العلماء أن إحياء الليل لا يقتصر على الصلاة فقط، بل يشمل جميع الطاعات<sup>٢</sup>:

- قال الحافظ: (وأحيا ليله) أي سهره في الطاعة.
- وقال النووي: أي استغرقه في السهر في الصلاة وغيرها.
- وقال في عون المعبود: (أي بالصلاة والذكر وتلاوة القرآن).

وهذا من رحمة الله ولطفه، فالأم التي تقضي يومها في رعاية أسرتها، والحائض، والنفساء، والمريض، جميعهم يمكنهم نيل بركة هذه الليالي من خلال الذكر والدعاء وتلاوة القرآن، دون أن يحرموا من الأجر.

وحتى إن لم نستطع إحياء الليل كله، فلنجعل لنا وقتا بعد العشاء، ووقتا قبيل الفجر نختلي فيه بالله ونعش قلوبنا بذكره وتلاوة كتابه. قال الله تعالى:

(وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا)<sup>٣</sup>.

قال ابن كثير رحمه الله:

(أي: أكثر من ذكره، وانقطع إليه، وتفرغ لعبادته إذا فرغت من أشغالك وما تحتاج إليه من أمور دنياك؛  
كما قال تعالى: (فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ)؛ أي: إذا فرغت من أشغالك، فانصب في طاعته وعبادته؛ لتكون فارغ البال)<sup>٤</sup>.

<sup>١</sup> التهجد لابن أبي الدنيا

<sup>٢</sup> الإسلام سؤال وجواب فتوى ٢٦٧٥٣

<sup>٣</sup> المزمّل ٨

<sup>٤</sup> تفسير ابن كثير



وقال ابن سعدي:

(أي: انقطع إلى الله تعالى؛ فإن الانقطاع إلى الله والإنابة إليه، هو الانفصال بالقلب عن الخلائق، والاتصاف بمحبة الله، وكل ما يقرب إليه ويُدني من رضاه)<sup>١</sup>.

### ما بين الرغبة في القرب ... ولذة العبادة

ومن أكثر ما تشاق إليه القلوب في رمضان، خاصة في العشر الأواخر، أن نخشع في العبادة، ونتذوق حلاوة الإيمان، وإذا ما فقدنا تلك المشاعر، تسلطت علينا النفس الأمارة بالسوء، لتثبطينا عن الطاعات، فيكون ذلك من مداخل الشيطان العظيمة.

فالأصل في عبوديتنا لله أن نتقرب إليه رغبة في القرب منه بصدق، كما يتقرب العبد الفقير إلى مولاه. أن نستشعر ضعفنا واحتياجنا إليه، ونُشبع أرواحنا بالتذلل والانكسار بين يديه. وندعوه أن يقر أعيننا بلذة قربهِ، لا أن نجعل اللذة هي الغاية من العبادة، بل نعبده لأنه أهل للعبادة. وحينها فقط يُكرمنا بنفحات القرب والأنس، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:  
(إِنَّ اللَّهَ حَيٌّ كَرِيمٌ يَسْتَحْيِي إِذَا رَفَعَ الرَّجُلُ إِلَيْهِ يَدَيْهِ أَنْ يَرَدَّاهُمَا صَفَرًا خَائِبَتَيْنِ)<sup>٢</sup>.

أما إن استسلمنا لفتور القلب، وتركنا القرب من الله لأننا لم نذق لذة العبادة، فبأي وجه نطلب تلك اللذة ونرجوها؟

فلنجتهد في استغلال تلك الأيام، ولنتذكر أن رمضان شهر يزهر فيه القلب بالعبادة ليلاً ونهاراً، فلا نجعل اجتهادنا مقتصرًا على الليل، ثم يتكاسل القلب

---

<sup>١</sup> تفسير السعدي

<sup>٢</sup> رواه الترمذي

نهارا، فكل لحظة في هذا الشهر كنز لا يعوض، وفي كل ساعة باب يفتح لنقترب من الله أكثر.

### ومما يعيننا على العبادة في العشر الأواخر:

١. استشعار أننا لا حول لنا ولا قوة إلا بالله  
فلنرددها بقلوب مملأها الافتقار إليه، مستعينين به في كل خطوة.  
بقوله تعالى: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ}¹
٢. شعارنا في رمضان  
لو كان هذا آخر رمضان لنا، كيف نرغب أن نتزود منه للآخرة؟  
كيف سنجتهد لنملاً صحائفنا بالحسنات؟  
هذا التساؤل وحده كفيل بأن يجعلنا نغتنم كل لحظة، ونعمل وكأننا  
نودع رمضان للمرة الأخيرة.
٣. الإكثار من الخلوات مع الله  
مهما كثرت المشاغل، فلنصنع لأنفسنا محطات إيمانية، خمس دقائق  
في كل ساعة، نختلي فيها بالله، نرطب ألسنتنا بذكره، نرتل آياته، ونبث  
له خواطر قلوبنا، فبهذا تحيا الروح ويتجدد الأنس بالله، ونكسر رتابة  
الفتور.
٤. نسبه الفضل لله  
إذا وجدنا قلوبنا مقبلة على الطاعة، فلنحذر أن نُعجب بأنفسنا ونظن  
أننا نحن من صنعنا ذلك، بل ننسب الفضل لله الذي أعاننا وأكرمنا  
بها، فلا إحباط ولا غرور، بل شكر وانكسار بين يديه سبحانه: "اللهم  
لك الحمد أن وفقنتني للعبادة، فالفضل كله منك وحدك."

¹ الفاتحة ٥

## ٥. المسارعة في الطاعات

حين يفتح الله لنا باب طاعة، فلنسارع إليه، ولا نُؤجله، فلعلنا لا نجد إليه سبيلا لاحقا. ومن ذاق لذة الطاعة، لا يرضى أن يكون يومه بلا عبادة.

## ٦. وأخيرا... العبرة بالقبول لا بالكثرة

فما الفائدة إن كثرت أعمالنا ولم تُكتب في صحائف المقبولين؟ فلنجتهد بقلوب مخلصه، ولنحرص على إحسان العمل، فالله لا يقبل إلا ما كان خالصا لوجهه.

## ومضة

(إن الخيل إذا شارفت نهاية المضمار بذلت قصارى جهدها لتفوز بالسباق..  
فلا تكن الخيل أفطن منك!

فإنما الأعمال بالخواتيم.. فإنك إذا لم تحسن الاستقبال لعلك تحسن الوداع!!)

## ليلة القدر... حين تكتب الأقدار!

حينما نتفكر في أن هناك ليلة واحدة فقط، خير من عبادة ثلاث وثمانين سنة!

ليلة تنزل فيها الملائكة، ومعها ما كتبه من اللوح المحفوظ عن أحداث ذلك العام.

ليلة واحدة فقط، لكن من حازها، فقد حاز كنز العمر!

فكيف نعيش ليلة القدر بروح متلهفة للقرب؟ وكيف ننتظرها بقلوب خاشعة، وأرواح تائقة لنور الله؟

## الاستعداد لاستقبال ليلة القدر

كانت مسك تعد الأيام والليالي في ترقب، وكأنها تنتظر ضيفا عزيزا. وكلما انقضى يوم من رمضان، زاد خفقان قلبها وتلهف روحها شوقا. وحين أقبلت ليلة التاسع عشر من رمضان، آخر ليلة فردية قبل دخول العشر، سجدت شكرا لله أن بلغها هذه الأيام المباركات. ثم أسرع تجهز ركنها الخاص في البيت، ذاك المكان الذي انتقته بعناية، ليكون زاويتها للعبادة والمناجاة. نظفته، عطرتة، فرشت فيه سجاداتها التي غسلتها خصيصا لهذه الليالي العظيمة، ثم أخرجت ملابس صلاتها المخصصة للعشر الأواخر، عطرتها، وأحضرت سواكها الجديد ومصحفها، ووضعتهما في ركنهما الخاص.

## ضيف عزيز

كثيرا ما نستعد لاستقبال الضيوف، فنرتب البيوت، ونزينها، ونهيئ الأجواء. وكلما كانت العلاقة بالضيف أعمق، زاد اهتمامنا بالتفاصيل. فكيف بنا ونحن على أعتاب ليالٍ تُرجى أن تكون إحداهن ليلة القدر؟ كيف هو استعداد قلوبنا لاستقبالها؟

كيف سيكون حالنا حينما يكون اللقاء في وقت أروع ما يكون، حيث يتنزل الله سبحانه وتعالى إلى السماء الدنيا نزولا يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه، فينادي:

(من يدعوني فأستجيب له؟ من يسألني فأعطيه؟ من يستغفرني فأغفر له؟)<sup>١</sup>.

يا الله! ملك الملوك ينادينا كل ليلة، يُنصت لهمومنا، يستقبل بوح قلوبنا، يفتح لنا أبواب الرحمة والمغفرة، فهل سنُعرض عن هذا اللقاء الرباني؟ أم ستنهياً له بأرواحٍ متلهفة، وقلوبٍ تواقّة، وأكُفٍّ ممدودة للسماء؟

<sup>١</sup> رواه البخاري ومسلم

## لماذا أُخفيت ليلة القدر؟

من حكمته سبحانه أن أخفى ليلة القدر، ليكون ذلك حافزا لنا على الاجتهاد في العشر كلها، وتحقيق مقام بالعبودية بالوقوف على بابه سبحانه في كل ليلة آمليْن أن تكون تلك الليلة هي ليلة القدر، ولئلا نقع في فخ التهاون والاتكال. عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إني خرجت لأخبركم بليلة القدر، وإنه تلاحى فلان وفلان فرُفعت، وعسى أن يكون خيرا لكم، التمسوها في السبع والتسع والخمس).<sup>١</sup>

ولو عُيِّنَت ليلة القدر بوضوح، لأعرضت القلوب عن العشر كلها، وانشغلت بليلة واحدة، ولما تحقق مقام العبودية الخالصة لله. فمن تمام حكمته أن جعلها مخفية بين الليالي، ليبقى العبد متعلقا ببابه، منقطعا إليه، طامعا في أن تكون تلك الليلة هي ليلة القدر.

## الترابط الإيماني في العائلة

ومن جميل هذه الليلة، أن بركاتها لا تقتصر على الفرد وحده، بل تمتد لتشمل الأهل جميعا، فعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: (كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا دخل العشر، شد منزره، وأحيا ليله، وأيقظ أهله).<sup>٢</sup>

وهذا يعكس لنا روح العائلة والترابط الإيماني فيما بينها، حيث يحرص الزوجان على إيقاظ بعضهما، ويتعاون الأبوان على إيقاظ الأبناء، ليكون البيت كله في عبادة، تحت نفحات الرحمة والمغفرة.

<sup>١</sup> رواه البخاري

<sup>٢</sup> رواه البخاري

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:  
(رحم الله رجلا قام من الليل فصلى ثم أيقظ امرأته فصلت، فإن أبت نضح  
في وجهها الماء، ورحم الله امرأة قامت من الليل فصلت ثم أيقظت زوجها  
فصلى، فإن أبى نضحت في وجهه الماء)<sup>١</sup>

### ماذا نفعل في ليلة القدر؟

عن عائشة رضي الله عنها، قالت:  
(قلت يا رسول الله، أرايت إن وافقت ليلة القدر ما أقول فيها؟  
قال: قولي: اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني)<sup>٢</sup>.

لنتأمل جمال هذا الدعاء!  
لم يقل "اللهم ارزقني" أو "اللهم نجني"،  
بل قال "اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني". لأن العفو إذا نزل، نزل  
معه كل خير، فكيف بمن يُعافيه الله من ذنوبه وأخطائه؟

يقول ابن رجب رحمه الله:  
(وإنما أمر بسؤال العفو في ليلة القدر بعد الاجتهاد في الأعمال فيها وفي ليالي  
العشر، لأن العارفين يجتهدون في الأعمال ثم لا يرون لأنفسهم عملا صالحا  
ولا حالا ولا مقالا فيرجعون إلى سؤال العفو كحال المذنب المقصر)<sup>٣</sup>.

---

<sup>١</sup> رواه النسائي في السنن الصغرى

<sup>٢</sup> المستدرک على الصحيحين

<sup>٣</sup> لطائف المعارف

ومن كان له عذر يمنع من القيام، فإن الله واسع الفضل، فقد قال الشيخ عبد العزيز الطريفي:

(من عجز عن قيام العشر لعذر بيّن صلى العشاء والفجر جماعة حصل على أجر قيام العشر وإدراك ليلة القدر، صح هذا عن ابن المسيب وغيره وفضل الله واسع)

فهنيئاً لمن وفق لقيامها ونال فيها عفو الله ورضاه!

### ومضة

ليلة القدر هي هدية وفرصة العمر التي قد لا تتكرر، وهي اللحظة التي تُغفر فيها الذنوب، وتُعتق فيها الرقاب.

فمن منا يفرط في كنز كهذا؟

ومن منا ينام عنها وهو يعلم أنها خيرٌ من ألف شهر؟

اللهم بلغنا ليلة القدر، وأكرمنا فيها بالعفو والرضا، ولا تحرمنا لذّة القرب منك أبداً



## ما بعد ليلة ٢٧... هل انتهى رمضان؟

حين تشرق شمس يوم ٢٧ رمضان، نشهد تحولاً غريباً!

أجواء الإيمان تخفت، وأصوات القرآن تنحسر، والقلوب التي كانت تخشع في القيام، تنشغل فجأة بأهازيج العيد.

وكأن رمضان قد رحل، وكأن ليلة ٢٧ كانت الختام!

لكن هل حقاً انتهى رمضان؟ أم أن هناك لحظات ثمينة ما زالت تنتظرنا؟

## هل انتهى رمضان؟

كانت ليلة ٢٧ في ذلك المسجد ليلة عامرة بالإيمان، ما بين القيام وتلاوة القرآن وذكر الله، وقد ملأت الأجواء نفحات الطمأنينة والسكينة. لكن مع إشراقة اليوم التالي، بدا المشهد مختلفا تماما!

خرجت مسك لشراء بعض المتطلبات، لكنها فوجئت بمشهد الشوارع والأسواق، وكأن رمضان قد انقضى فجأة! من كان يقرأ القرآن يوميا لم يعد مصحفه بين يديه، بل انشغل بترتيب متجره. ومن كان يُشغل المحاضرات والدروس صار يُشغل أناشيد العيد. وحتى أولئك الذين اعتادت سماع تسبيحهم وحمدهم، انشغلوا اليوم بأحاديث الدنيا، يتبادلون الكلام عن استعدادات العيد ومشترياتهم. أما الأطفال، فقد قضوا يومهم في تعليق زينة العيد، رغم أن رمضان لم ينته بعد، ولا تزال ثلاث ليال تنتظرهم!

شعرت مسك بحيرة شديدة، وكأنها وحدها التي لا تزال ممسكة بروح الشهر، حتى تملكها الشك لحظة: "هل انتهى رمضان فعلا؟ هل فاتني شيء؟"

فسألت جارتها: "ما الذي حدث؟ هل انتهى رمضان؟"

فأجابتها الجارة بثقة: "ألم نصل ليلة ٢٧؟ أليست هي ليلة القدر كما قال أغلب أهل العلم؟ وبالتالي، انتهى رمضان."

وقفت مسك عاجزة عن الرد، تتأمل حال الناس وهي تردد:  
"اللهم إنك عفو تحب العفو فأعفو عني".

## هل ليلة ٢٧ هي ليلة القدر فعلاً؟

أليس هذا هو المشهد الذي نراه كل عام؟ يبذل الكثيرون أقصى جهدهم في ليلة ٢٧ رمضان، معتقدين أنها ليلة القدر، وما إن تشرق شمس اليوم التالي، حتى يتوقف كل شيء، وكأن العبادة قد بلغت نهايتها، رغم أن أعظم الليالي ما زالت قائمة!

ألم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم:  
(التمسوا ليلة القدر في آخر ليلة)<sup>١</sup>.

بأي أنت وأمي يا رسول الله! وكأنك كنت تعلم أن أمتك ستتساهل في الليالي الأخيرة، فوجهتنا بوضوح: "التمسوها في آخر ليلة!" أي ليلة ٢٩.

وقد بين أهل العلم أن ليلة القدر ليست ثابتة، بل تتغير كل عام، يقول الشيخ بن عثيمين رحمه الله:

(وإذا تأملنا الأدلة الواردة في ليلة القدر تبين لنا أنها تنتقل من ليلة إلى أخرى وأنها لا تكون في ليلة معينة كل عام، فالنبي صلى الله عليه وسلم أرى ليلة القدر في المنام وأنه يسجد في صبيحتها في ماء وطين، وكانت تلك الليلة ليلة إحدى وعشرين، وقال عليه الصلاة والسلام: (تحرُّوا ليلة القدر في العشر الأواخر من رمضان)) انتهى كلامه.

## كيف نختم رمضان بإحسان؟

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم، الذي غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، يجتهد في العبادة حتى آخر لحظة فيها، فكيف ينبغي أن يكون حالنا نحن؟

---

<sup>١</sup> رواه ابن خزيمة

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم:

(إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه)<sup>١</sup>

وإتقان العبادة في رمضان يعني أن نختمه كما بدأناه، بل بروح أشد إقبالا وشوقا ورغبة، حتى آخر الدقيقة منه.

وقد جاء في الحديث الشريف:

(من قام رمضان إيمانا واحتسابا غُفر له ما تقدم من ذنبه)<sup>٢</sup>.

فلماذا نُضَيِّع علينا فرصة المغفرة الشاملة؟ ولماذا نُسدل الستار قبل أن ينتهي السباق؟

**لا يزال رمضان قائماً!**

لا تزال الفرصة بين أيدينا، فلنواصل السعي حتى اللحظة الأخيرة، لعل الله يكتب لنا في الختام ما يُرضيه عنا.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

(وإنما الأعمال بالخواتيم)<sup>٣</sup>

فلا نعلم، ربما تكون آخر ليلة في رمضان، هي ليلة القبول والمغفرة! اللهم لا تحرمنا بركة هذه الليالي حتى آخر ثانية من رمضان.

---

<sup>١</sup> رواه البيهقي

<sup>٢</sup> رواه البخاري

<sup>٣</sup> رواه البخاري

## آخر يوم في رمضان

رمضان يمضي سريعاً، ومع مغيب شمسهِ الأخيرة، تتردد في قلوبنا مشاعر متباينة؛ فرحٌ بإتمام الطاعة، وحزنٌ على وداع شهر الرحمة والمغفرة، وقلقٌ خفي: هل قبل عملنا؟ هل أدينا حق هذا الشهر كما ينبغي؟

لكن، ماذا لو كان السر في آخر ليلة؟

في لحظة الغروب، حينما نرفع أيدينا بالدعاء، ونلهج بالحمد والثناء، ونسجد شكراً على التوفيق؟

كيف عاش الصحابة والسلف الصالح هذه الساعات؟ وما الذي ينبغي لنا فعله في وداع رمضان حتى يكون ختامه مسكاً؟

## عبادة لا تنتهي بانتهاء رمضان

أَدْنُ مغرب آخر يوم في رمضان، ففطرت مسك مع أسرتها، ثم قامت إلى صلاة العشاء وما تيسر لها من القيام. جلست بعدها، تلهج بالثناء على الله، وتحمده أن وفقها لصيام الشهر وقيامه، ثم أتبعته ذلك بالاستغفار، استهداء بهدي النبي صلى الله عليه وسلم، حين أمره الله بعد تمام النصر وفتح مكة بقوله:

{إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ \* وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا \* فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا}¹.

ثم توجهت إلى سجادتها، مذكرة نفسها أن العبادة لا تنتهي بانتهاء رمضان، بل تبدأ مرحلة جديدة، فاستفتحت ليلة العيد بصلاة القيام وسجدة تفيض خضوعاً وشكراً.

## حزن الصحابة لم يكن على رحيل رمضان!

حين نتألم في حياة الصحابة والسلف رحمهم الله، نجد أن حزنهم لم يكن بسبب رحيل رمضان في ذاته، بل خشية ألا يُقبل عملهم!

فمن كمال العبودية أن نشعر بالتقصير مهما اجتهدنا، وأن نوقن أننا لم نعبد الله حق عبادته، بل نحن عبيده الفقراء إليه، ومهما بذلنا، لن نفيه حقه من التعظيم والجلال.

---

¹ النصر

لذا كان من هدي النبي صلى الله عليه وسلم الاستغفار بعد الفراغ من كل طاعة؛ بعد الصلاة، وبعد الصيام، وحتى بعد الحج كما قال الله تعالى: {ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ}¹.

يقول الشيخ السعدي رحمه الله في تفسير هذه الآية: (فالاستغفار للخلل الواقع من العبد في أداء عبادته وتقصيره فيها، وذِكْرُ الله هو شُكْرُ الله على إنعامه عليه بالتوفيق لهذه العبادة العظيمة والمنّة الجسيمة، وهكذا ينبغي للعبد كلما فرغ من عبادة أن يستغفر الله عن التقصير، ويشكره على التوفيق، لا كَمَن يرى أنه قد أكمل العبادة ومنّ بها على ربّه، وجعلت له محلاً ومنزلةً رفيعة، فهذا حقيق بالحق وردّ العمل كما أنّ الأول حقيق بالقبول والتوفيق لأعمال آخر)².

ويقول ابن تيمية رحمه الله: (الاستغفار يُخرج العبد من الفعل المكروه، إلى الفعل المحبوب، ومن العمل الناقص، إلى العمل التام. ويرفع العبد من المقام الأدنى، إلى الأعلى منه، والأكمل؛ فإن العابد لله، والعارف بالله في كل يوم، بل في كل ساعة، بل في كل لحظة يزداد علماً بالله. وبصيرة في دينه، وعبوديته، بحيث يجد ذلك في طعامه، وشرابه، ونومه، ويقظته، وقوله، وفعله. ويرى تقصيره في حضور قلبه في المقامات العالية، وإعطائها حقها، فهو يحتاج إلى الاستغفار آناء الليل وأطراف النهار؛ بل هو مضطر إليه دائماً في الأقوال والأحوال، في الغرائب والمشاهد؛ لما فيه من المصالح وجلب الخيرات، ودفع المضرات، وطلب الزيادة في القوة في الأعمال القلبية، والبدنية اليقينية الإيمانية... اهـ)³.

¹ البقرة ١٩٩

² تفسير السعدي

³ مجموع الفتاوى

وقد كان هذا نهج الصحابة رضوان الله عليهم والسلف الصالح من بعدهم، كما قال ابن رجب رحمه الله:  
(وكانوا مع اجتهدهم في الصحة في الأعمال الصالحة يجددون التوبة والاستغفار عند الموت ويختمون أعمالهم بالاستغفار وكلمة التوحيد)<sup>١</sup>.

### لا تجعلوا رمضان ينقضي دون مسك الختام!

رمضان يرحل، لكن من ذاق لذة القرب من الله، لن يسمح له بالرحيل عن قلبه!

فلنحرص في آخر لحظاته على:

- تحقيق عبودية الاستغفار، شكرا لله على أن وفقنا لعبادته. ولنجعلها منهج حياة، لا عادة مؤقتة.
- أن نسجد شكراً، ونطلب من الله أن يتقبل عملنا.
- أن نعزم على الثبات، فلا يكون رمضان محطة مؤقتة، بل نقطة انطلاق.
- أن نستعد ليلة العيد بالصلاة والدعاء، لا باللهو والغفلة.

فكما أن رمضان ينتهي، فالحياة أيضاً راحلة، وما أجمل أن نُحسن وداع كل نعمة كما أمرنا بحسن وداع رمضان.

---

<sup>١</sup> لطائف المعارف



## كيف نستقبل العيد؟ بالحزن أم بالسرور؟

مع اقتراب العيد، تختلط المشاعر في القلوب... بين فرحة بإتمام الطاعة، وحزن على فراق رمضان، ووجع يعتصر القلب لأحوال أمتنا الجريحة.

لكن هل نسمح للحزن أن يسرق منا فرحة العيد التي شرعها الله لنا؟  
أم نبحث عن التوازن بين مشاعر الرحمة والفرح؟

كيف نستقبل العيد كما أراد الله؟ وهل الفرحة به يتنافى مع الألم على أحوال المسلمين؟

جلست مسك على سجاداتها، وعيناها تذرفان دموعا حارة، كأنها أنهار تفيض بالألم والحسرة. لم تكن دموعها على فراق رمضان فحسب، بل على أحوال الأمة الجريحة... على غزة التي تعاني من قتل وإبادة، وعلى السودان وما حل بها من دمار، وعلى سوريا التي ما زالت تنهشها الجراح منذ سنوات. ظلت تلهج بالدعاء وتهمس بين دموعها:

"رباه، نريد أن نفرح بتمام الشهر، ولكن كيف لقلب يذوب ألما أن يجد فرحة العيد وسط هذا البحر من الآلام؟"

### بين الفرح والحزن: كيف نحقق التوازن؟

في ظل المآسي التي تمر بها الأمة الإسلامية، قد يشعر البعض بتأنيب الضمير إن فرح بالعيد، وكأنه يخذل إخوانه. فتتنازع مشاعر متضاربة بين الرغبة في الفرح بتمام الشهر، وبين الحزن على واقع الأمة.

هنا تأتي النصوص الشرعية لتضبط بوصلة قلوبنا، وتجدد معاني العبودية فيها، وتخبرنا كيف نوازن بين هذه المشاعر.

يقول النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث القدسي:  
(يقول الله عز وجل: الصوم لي وأنا أجزي به، يدع شهوته وأكله وشربه من أجلي، والصوم جنة وللصائم فرحتان: فرحة حين يفطر، وفرحة حين يلقى ربه).<sup>١</sup>

الفرح هنا عبادة، والقلوب التي ذاقَت لذة القرب من الله طوال الشهر تشتاق إلى تكريم الله لها، وتترقب جزاءه. فهي لحظة تُرفع فيها الأعمال، وتُدون فيها الملائكة الأجور.

---

<sup>١</sup> رواه البخاري

فإذا كان الصيام عبادةً خاصةً بالله وهو من يجزي بها، فكيف لا تكون فرحة العيد جزاءً على ما حققناه من تقوى؟

تلك الفرحة ليست مجرد شعور عابر، بل عطاء إلهي يهبه الله للصائمين جزاءً على صبرهم وإخلاصهم.

### فرحة العيد من تعظيم شعائر الله

ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم:  
(وللصائم فرحتان: فرحة حين يفطر، وفرحة حين يلقى ربه).

• فرحة حين يفطر بما أتمّه من طاعات الصيام والقربة إلى الله في هذه الدنيا.

• وفرحة في الآخرة حين يلاقي ربه فيجزيه خير الجزاء.

وتلك الفرحة هي من شعائر الله التي يحب أن نمارسها ونعظمها. يقول الله تعالى:

{وَمَنْ يُعْظِمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ}¹.

يقول الشيخ السعدي رحمه الله:

(فتعظيم شعائر الله صادر من تقوى القلوب، فالمعظم لها يبرهن على تقواه وصحة إيمانه، لأن تعظيمها، تابع لتعظيم الله وإجلاله)².

---

¹ الحج ٣٢

² تفسير السعدي

تلك التقوى هي ثمرة الصيام، الذي قال الله عنه:  
{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ  
لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ}¹.

فقد أكرمنا الله بإتمام الشهر كاملة، وشرع لنا الفرح احتفالاً بتقوى القلوب.  
شهرًا كاملاً، تنعمنا فيه بطاعته على نور من الله، وتركنا فيها معصيته على نور  
منه سبحانه، رجاء ثوابه وخشية من عقابه، كما يخشى الحبيب من غضب  
محبوبه.

شهرًا كاملاً قضيناه نتقرب فيه إليه، ونحيي قلوبنا بحلاوة الإيمان وننعش  
أرواحنا بلذة الطاعة.

أليس من الطبيعي بعد كل هذا أن نفرح في نهايته؟

### الفرح لا يتنافى مع الحزن

مهما كانت أحزاننا على حال الأمة، ومهما ثقلت أحوالنا الدنيوية، لا ينبغي  
أن تطغي على فرحتنا بقربنا من الله.

فالسنة أن يُظهر المسلمون الفرح بشعائر الله التي شرعها لنا، ومنها العيد  
الذي أنعم الله به علينا لإدخال السرور على قلوبنا.

والفرح ليس معناه الصخب والمبالغة في الاحتفال، بل أدناه أن تكون قلوبنا  
مطمئنة، تغمرها السكينة مع ابتسامة صادقة تنبع من أرواحنا التي تذوقت  
طعم الطاعة.

---

¹ البقرة ١٨٣

وهذا لا يتنافى مطلقا مع الحزن بالقلب، فهو حزن يمزج بين الرضا بقضاء الله وقدره، والثقة به سبحانه أن كل أمر المؤمن خير.

ولنتذكر قول الله تعالى على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم:  
{لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا}¹

فسر الفرح في العيد هو الطمأنينة بأن الله معنا في كل الظروف، فلا نحزن حزنا يشغلنا عن عبادتنا وشكرنا لله

### فلنفرح بتمام الشهر

فلنفرح بتمام الشهر، ولنفرح أن رزقنا الله فرصة أخرى لنتزود من رمضان ونستشعر حلاوة الإيمان.

ومن كمال الفرح أن نشكر الله ونكبره على ما هدانا من الطاعات والصيام لقوله تعالى:

{وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَيْتُكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ}².

ويبدأ التكبير منذ رؤية هلال العيد ويستمر طيلة الليل وحتى تنتهي صلاة العيد.

ومن كمال الشكر الاستمرار على الطاعة في ليلة العيد، فرمضان ليس محطة مؤقتة، ثم نعود بعدها لما كنا عليه قبل رمضان.

---

¹ التوبة ٤٠

² البقرة ١٨٥

يقول الله تعالى:

{وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ}¹.

فكم هم أولئك الذين ينسجون أجمل الثياب ويتفننون في إكمالها وإتقانها، ثم بعد اكتمالها، يقومون بفكها بأيديهم غير مبالين بكل الجهد والتعب الذي بذلوه.

وكذلك هو حال من عبدوا الله في رمضان ثم تركوا العبادة بعدها.. وكأنهم يتخلون عن قربهم من الله ولذة الإيمان التي تذوقوها.

### الفرح عبادة... والأمل واجب

فلنفرح بالعيد كما أراد الله، ولنجعل فرحتنا عبادة، وحننا دعوة إلى العمل والإصلاح.

فالأمة تحتاج إلى قلوب عامرة بالإيمان، وأرواح مشرقة بالأمل، لا إلى قلوب يائسة غارقة في الحزن!

ولنتذكر دائماً قول الله تعالى:

{فَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا}².

اللهم اجعل فرحتنا بك، وحننا لك، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

¹ النحل ٩٢

² النساء ١٩

## الاحتفال بالعيد

مع بزوغ فجر العيد، تشرق القلوب بنور الفرحة والسرور... فرحة بإتمام شهرٍ من الطاعات، وعبادةٍ قربتنا من الله.

ها هو العيد يأتي بنسماته العطرة وأفراحه المشرقة، ليجمعنا في صلاة واحدة، وتهنئة واحدة، وفرحة واحدة.

فكيف نجعل العيد مناسبةً تملأ قلوبنا وأرواحنا بالبهجة والإيمان؟

## العيد... لحظة الفرح بعد الطاعة

استيقظت مسك من نومها مع بزوغ الفجر، تشعر بفرحة العيد تملأ قلبها. صلت الفجر، ثم اجتمعت الأسرة حول مائدة إفطار خفيف، وبدأ الجميع الاستعداد لصلاة العيد.

ارتدت أجمل ثيابها، ووقفت مع أهل بيتها يرددون تكبيرات العيد، كأنه نشيد يعبر عن فرحة القلوب بالطاعة والقرب من الله.

## صلاة العيد... تجمع القلوب على الخير

ها هو العيد يأتي بنسماته العطرة وأفراحه المشرقة.

ومعه صلاة العيد، أعظم ما يدخل السرور على القلب، وهي سنة مؤكدة حض عليها النبي صلى الله عليه وسلم كبارا وصغارا، رجالا ونساء، حتى الحائض والنفساء.

عن أم عطية رضي الله عنها قالت:

(أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نخرجهن في الفطر والأضحى: العواتق والحيض ذوات الخدور، أما الحيض فيعتزلن الصلاة ويشهدن الخير ودعوة المسلمين).<sup>١</sup>

فما أعظمها من مناسبة تجمع الأرواح في لحظة واحدة من الحمد والشكر!

---

<sup>١</sup> رواه البخاري



## آداب العيد... فرحة بنكهة الإيمان

ومن الآداب العامة التي ينبغي الحرص عليها في العيد:

١. الاغتسال، للطهارة وإنعاش الروح، وهو سنة تعكس اهتمام المسلم بجماله ونظافته.
٢. ارتداء أجمل ما لدينا، إظهار للفرح والسرور.
٣. التكبير بصوت مسموع، تعظيما لشعائر الله.
٤. التهنئة بين المسلمين، وإدخال السرور على قلوبهم.
٥. المرح والفرح بما أحله الله، دون إسراف أو غفلة.
٦. تبادل الزيارات والتواصل مع الأهل والأصدقاء، لتقوية روابط المحبة.

## كيف نجعل العيد فرحة للأطفال؟

الأطفال ينتظرون العيد بشغف وبهجة، فهو يومهم الخاص، ويجب أن يكون مليئا بالذكريات الجميلة.

أفكار لإدخال الفرحة على الأطفال:

١. تزيين البيت بالبالونات والزينة الملونة، لإضفاء أجواء مبهجة.
٢. شراء الهدايا وتغليفها بأغلفة جذابة، ليفتحوها صباح العيد بحماس.
٣. إعداد الحلويات الخاصة بالعيد، وجعل الأطفال يشاركون في تحضيرها.
٤. إعطاء العيدية، إن أمكن، فهي من أروع اللحظات التي ينتظرها الأطفال.
٥. تعليمهم زكاة الفطر عمليا، بإشراكهم في تقديمها للمحتاجين.
٦. تعليمهم التكبير بصوت عال، تعظيما لشعائر الله.

## إلى الأمهات المغتربات... لا تهملوا فرحة العيد!

إلى كل أم مغتربة في بلاد الغرب، لا تهملوا هذه التفاصيل الصغيرة، فهي ليس مجرد طقوس، بل جسر يعبر به أطفالك إلى فرحة العيد، ويعزز انتماءهم لهويتهم الإسلامية.

ففي بلاد الغرب، قد يشعر أطفالنا أن أعياد المسلمين أقل بهجة من أعياد غير المسلمين. فهم يشاهدون احتفالات الكريسماس، والهالوين، وأعياد الميلاد تملأ الشوارع والمنازل، فيشعرون أنهم يفتقدون شيئاً مميزاً في أعيادهم.

هنا يأتي دورك، أيتها الأم لتصنعي لهم عيداً لا ينسى.

لقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يهتم باحتياجات الأطفال النفسية في كل موقف، ويحرص على إدخال السرور على قلوبهم. فالبهجة والفرح بالعيد ليست رفاهية، بل هي جزء من حفظ العقيدة وترسيخها في قلوب الصغار. وكم من أطفال وشباب تفلتوا من دينهم بسبب تأثرهم بثقافات الآخرين، وعدم شعورهم بفرحة الإسلام.

- زيّني المنزل، وقدمي لهم الهدايا الصغيرة، وحضّري لهم حلويات العيد.
- شجّعهم على مشاركة فرحتهم مع أصدقائهم في المدرسة، بهدايا رمزية أو حلوى ملفوفة بشكل جميل.

- حدّثهم عن معنى العيد وفرحته عند المسلمين، لي شعروا بالفخر بهويتهم.

لا تهملوا هذه التفاصيل، فصناعة فرحة العيد ليست مجرد ترف، بل هي مسؤولية تربية في غاية الأهمية! هكذا تزرعين في قلوبهم حب الإسلام وفرحته، وتجعلينهم يشعرون بالفخر بانتمائهم، دون أن يختلط عليهم الأمر أو يشعروا بالنقص أو الحرمان.

## قلوبنا في العيد... بين الفتور والثبات

ها قد انقضى رمضان، وذاتت أرواحنا طعم القرب من الله، وانتعشت قلوبنا بما أدمنته ألسنتنا من ذكر وتلاوة القرآن. فماذا سنفعل بهذا الزاد الإيماني الذي اكتسبناه؟ هل سنحافظ عليه ونرعاه؟ أم سنستهلكه ونحن نقاوم الفتن والشهوات في زحمة الاحتفال بالعيد؟

هل سنحرص على مجاهدة أنفسنا كي لا تُسلب منا حلاوة الإيمان؟  
أم سنتهاون ونصبح ممن قال الله عنهم:  
{وَعَصَيْتُمْ مِّنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ}¹.

### الفرحة بالعيد لا تعني التراجع عن الطاعة!

فلنفرح بالعيد، ولنعظم الله في قلوبنا، ولكن حذار أن نغفل عن الطاعة ونفتر عن العبادات!

حذار أن تشغلنا احتفالات العيد والزيارات عن قرآننا وذكرنا. ولنستمر على قيام الليل، ولو بركعتين خفيفتين بعد العشاء. فقلوبنا لن تستطيع الاستمرار في التلذذ بالزاد الرمضاني إن غفلنا عن إمدادها بغذاء الأرواح من تلاوة القرآن، والذكر، والقيام، والصوم.

ولنتذكر دائماً أن الإيمان يزيد وينقص، وزيادته تكون بالاستمرار على الطاعات.

فإن اعتدنا القرب من الله بالوقوف بين يديه في جوف الليل، فلا نتركه.  
وإن اعتدنا ترتيل كلام الله والتجاوب مع رسائله لنا، فلا نترك أوردانا.  
وإن اعتدنا الصيام، فهذا هي ٦ من شوال تناديننا لنستمر في التزود من التقوى.

---

¹ آل عمران ١٥٢

وكلما راودتنا أنفسنا الأمانة بالسوء، فلنذكرها بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم:

(يا عبد الله، لا تكن مثل فلان، كان يقوم الليل فترك قيام الليل)<sup>١</sup>  
فكم من أناس اجتهدوا في رمضان ثم هجرت قلوبهم الطاعة بعده!  
فلنحذر أن نكون مثل "فلان"!  
لنحافظ على الطاعات، ولنستمر في القرب من الله حتى بعد رمضان!

### ما حكم تقديم صوم الست من شوال على صوم القضاء؟

الجواب: الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، أما بعد:

فقد اختلف العلماء - رحمهم الله - في هذه المسألة على قولين مشهورين:

أحدهما: أنه لا يجوز تقديم الست على القضاء، احتجاجاً بقوله صلى الله عليه وسلم في حديث أبي أيوب: "من صام رمضان ثم أتبعه ستاً من شوال.."،  
فدلالة (ثم) تفيد الترتيب، ولأن من صام الست قبل القضاء، فلا يصدق عليه أنه صام رمضان، وهذا مذهب لبعض أهل العلم، من الشافعية والحنابلة.

القول الثاني: جواز تقديم صوم الست على القضاء، وهو أحد صور مسألة أعم وهي مسألة: تقديم النفل على القضاء، وهذا مذهب جمهور أهل العلم، ومنهم من صرح بالكراهة مع الجواز، وقول الجمهور أقرب للصواب؛ للأدلة التالية:

<sup>١</sup> رواه البخاري

أولاً: أنه وقع في بعض روايات حديث أبي أيوب (وأُتبعه ستاً) بدلاً من (ثم) وفي بعضها: (من صام رمضان وستاً من شوال)، وهذا يدل على التوسعة، وأن بعض الرواة رواه بالمعنى.

ثانياً: أن مضاعفة الأجر الواردة في حديث ثوبان (الحسنة بعشر أمثالها) تحصل بتقديمها أو تأخيرها.

ثالثاً: أن من أدرك رمضان وصام منه ما قدر عليه يصدق عليه أنه ممن شهد الشهر فصامه، ولو فاتته بعض الأيام التي سيقضيها لاحقاً.

رابعاً: أن الله تبارك وتعالى قال: {وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ...} [البقرة: ١٨٥]، فيلزم من يمنع من البدء بالست قبل القضاء بحجة أنه لم يكمل رمضان، أن يقول لمن بقي عليه ولو يوم واحد ألا يكبر ليلة العيد، لأن عدته لم تكتمل، ولا قائل به. والله أعلم.

أ.د. عمر المقبل

## وأخيرا... ماذا بعد رمضان؟

هل كان رمضان محطة عابرة في رحلتنا تلك، أم انطلاقة لحياة إيمانية أقوى؟

بعد أن ودعنا رمضان، كيف سيكون حال قلوبنا مع الزاد الذي تزودنا به؟  
هل سنحافظ على النور الذي أضاء قلوبنا؟ أم سنتركه يخفت شيئا فشيئا حتى  
نعود لما كنا عليه قبل رمضان؟

لقد كان رمضان فرصة للسمو والارتقاء، ولكن العبرة ليست بـرمضان وحده،  
بل بما بعد رمضان.

هل يكفي ما قمنا به من عبادة؟!

يقول الله تعالى:

{وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ \* أُولَٰئِكَ  
يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ}¹.

حين سمعت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها هذه الآيات، لم تستطع تصور  
أن تتحدث عن المؤمنين، فسألت رسول الله صلى الله عليه وسلم:

(أَهُمُّ الَّذِينَ يَشْرِبُونَ الْخَمْرَ وَيَسْرِقُونَ

قَالَ: لَا يَا بِنْتَ الصِّدِّيقِ، وَلَكِنَّهُمْ الَّذِينَ يَصُومُونَ وَيَصَلُّونَ وَيَتَصَدَّقُونَ، وَهُمْ  
يَخَافُونَ أَنْ لَا تُقْبَلَ مِنْهُمْ أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ)².

¹ المؤمنون ٦٠ - ٦١

² رواه الترمذي

تأملوا هذا المشهد العجيب!

هؤلاء لم يكونوا من أهل المعاصي، بل كانوا من الصالحين الذين يصومون ويصلون، ومع ذلك كانت قلوبهم وجلة، يخافون أن لا يُتقبل منهم عملهم!

لماذا؟

لقد أدركوا - كما أدرك السلف الصالح بعدهم - حقيقة النفس البشرية، أدركوا أنه لا يوجد إنسان كامل، وبالتالي لا يوجد عمل كامل مهما اجتهدنا. أدركوا أن الإخلاص هو مفتاح القبول، لكنه يحتاج إلى مجاهدة مستمرة. أدركوا حقيقة العبودية، وأنها ليست موسمية، بل هي مستمرة إلى آخر العمر!

وأدركوا أنهم لا بد أن يسارعوا في الخيرات بعد رمضان، ليجبروا أي نقص في الطاعات.

يقول ابن القيم رحمه الله:

(فإن الله جعل الإخلاص والمتابعة سببا لقبول الأعمال فإذا فقد لم تُقبل الأعمال)<sup>١</sup>.

وهكذا ينبغي أن نكون بعد رمضان، أن نستمر في طلب الزاد والتزود منه من خلال المحطات الإيمانية المختلفة على مدار العام، والتي ذكرتها في فقرة "هل نتزود لرمضان أم نتزود من رمضان؟"

---

<sup>١</sup> الروح

## وسائل الثبات بعد رمضان

١. تذكرة أنفسنا يومياً بأننا لا حول لنا ولا قوة إلا به. والدعاء بأن يجدد الله الإيمان في قلوبنا وأن يثبتنا، مع الاستعانة به سبحانه ليعيننا على السير في طريق الطاعة.
٢. تذكرة أنفسنا بأن رمضان ليس النهاية، بل هو البداية للتزود بالإيمان. والموفق من يستمر في شوال على ختمات القرآن والصوم والقيام وغيرها من العبادات، ولو بالحد الأدنى من كل عبادة.
٣. التمسك بالصحبة الصالحة، التي تزيدنا قوة إلى قوتنا، فبصحبتهم تشتاق النفس إلى الطاعات. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (مثل الجلّيس الصالح كمثل المسك إن لم يُصَبَّك منه شيء أصابك منه ريحُه، ومثل الجلّيس السُّوء كمثل صاحب الكير إن لم يُصَبَّك من سواده أصابك من دُخانِه)<sup>١</sup>.
٤. تذكرة النفس بأنها بطبيعتها ملولة، تمرّت بفترات من النشاط والفتور، فلنروضها من خلال التنويع بين العبادات، ولنضع لأنفسنا حداً أدنى نلتزم به وقت فتورنا. سئل النبي صلى الله عليه وسلم: (أي الأعمال أحب إلى الله؟) قال: (أدومها وإن قل). وقال: (اكلفوا من الأعمال ما تطيقون)<sup>٢</sup>.
٥. الابتعاد عن المعاصي وشغل النفس بالخير: فالفراغ هو أول طريق الفتور والبعد عن الله والحرمان من لذة الطاعة، وهو بيئة مناسبة لارتكاب الذنوب من حيث لا نشعر.

<sup>١</sup> الترغيب والترهيب

<sup>٢</sup> رواه البخاري



وفي الختام،

أسعد الله قلوباً ضمت اسمي في دعائها بالغيب وأبشروا بملك يدعو لكم  
بالمثل.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.